وحبّه جلّ وعلا لهم حينما يبدأ الحديث عنهم بلفظ الجلالة « الله » : « الله وليّ الّذين آمنوا » أمّا الفريق الثّانى الّذى غضب الله تعالى عليه ولعنه فإنّ ابتداء الحديث عنه بأسوء صفاته « والّذين كفروا » دليل على ذلك الغضب من الله تعالى عليه وتلك اللّعنة والعياذ بالله . ويلاحظ كذلك أنّ الظّلمات جاءت فى صيغة الجمع لأنّها لا حصر لها ، بينما جاء النّور مفرداً لأنّه واحد ، و « لأن الحقّ واحد والكفر أجناس كثيرة وكلّها باطلة »[1] .

---

(١) تفسير ابن كثير ١ / ٣١٢ .

﴿٢٥٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ
أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي
وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي
بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي
كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ

حاجّ : جادل[1] أو عارض حجّته بمثلها أو أتى على الحجّة بما يبطلها أو أظهر المغالبة في الحجّة ثلاثة أقوال[2] .

في ربّه : في وجود ربّه[3] والضمير في ربّه يرجح عودته على إبراهيم[4] والّذي جادل إبراهيم عليه السّلام في ربّه جلّ وعلا هو النُّمروذ (بضمّ النّون وبالذّال المعجمة) ابن كوش بن كنعان بن سام بن نوح ملك زمانه وصاحب النّار والبعوضة[5] هذا قول ابن عبّاس ومجاهد وقتادة والرّبيع والسُّدّي وابن إسحاق وزيد بن أسلم وغيرهم[6] قيل كان يدّعي الرّبوبيّة[7] أن آتاه الله الملك : الظّاهر أنّ الضّمير في آتاه عائد على الّذي حاجّ وهو قول الجمهور[8] وأن آتاه الله الملك في موضع نصب ، أي لأن آتاه الله ، أو من أجل أن آتاه الله[9] أي حمله بطره بنعمة الله على ذلك[10] وكان ملك بابل[11] .

فبهت : انقطع وسكت متحيّراً[12] ودهش[13] وأفحم وبان عجزه وظهر كذبه[14] وأخرس فلا يتكلّم وقامت عليه الحجّة[15] وهكذا انقطعت حجّة نُمروذ ولم يمكنه أن يقول أنا الآتي بالشّمس من المشرق لأنّ ذوى الألباب يكذّبونه[16] .

---

(١) الجلالين .
(٢) البحر المحيط ٢ / ٢٨٦ .
(٣) تفسير ابن كثير ١ / ٣١٣ .
(٤) انظر البحر المحيط ٢ / ٢٨٧ .
(٥) يقال إنّ الله تعالى سلّط عليه بعوضةً واحدة دخلت في منخري هذا الجبّار انظر ابن كثير ١ / ٣١٣ وهو الذي أمر بالقاء إبراهيم عليه السلام في النار تفسير القرطبي ١٠٩٣ .
(٦) تفسير القرطبي ١٠٩١ وانظر البحر المحيط ٢ / ٢٨٦ وتفسير ابن كثير ١ / ٣١٣ .
(٧) البحر المحيط ٢ / ٢٨٨ .
(٨) البحر المحيط ٢ / ٢٨٧ .
(٩) تفسير القرطبيّ ١٠٩٥ وانظر الكشّاف ١ / ٢٩٤ والبحر المحيط ٢ / ٢٨٧ .
(١٠) الجلالين .
(١١) تفسير ابن كثير ١ / ٣١٣ .
(١٢) تفسير القرطبيّ ١٠٩٦ .
(١٣) الجلالين والبحر المحيط ٢ / ٢٨٥ .
(١٤) البحر المحيط ٢ / ٢٨٩ .
(١٥) تفسير ابن كثير ١ / ٣١٣ .
(١٦) تفسير القرطبيّ ١٠٩٤ .

وإنّ مناسبة الآية الكريمة لما قبلها على درجةٍ كبيرةٍ من الوضوح والقرب . فبعد أن بيّنت آيتان كريمتان سابقتان أنّ كلاً من الرّشد والغيّ واضح وأنّ الاستمساك بالعروة الوثقى هو الرّشد وأنّ هؤلاء هم أولياء الله تعالى ، أمّا الكافرون فأولياؤهم الطّاغوت ، تحدّثت هذه الآية الكريمة عن أحد أعلام الرّشد وقممه ، ذاكم هو إبراهيم عليه السّلام أبو الأنبياء ، وعن أحد أساطين الكفر والضّلال ، ذاكم هو نمروذ ملك بابل الّذى ادعى الرّبوبيّة والعياذ بالله .

والآية الكريمة تبدأ بالتساؤل الموجّه إلى المصطفى ﷺ ، وأمّته تبع له فى ذلك ، فى هيئة التّعجّب « ألم تر » « أي اعجبوا له »[1] فهذا الشّخص الّذى خلقه الله تعالى فى أحسن تقويم وأكرمه بالملك فضلاً منه جلّ وعلا ونعمة ، بدلاً من أن يقوم بما يجب عليه تجاه بارئه جلّ وعلا الّذى أسبغ عليه نعمه ظاهرةً وباطنة ، هو يكفر بها أشدّ الكفران إلى الدّرجة الّتى ادّعى معها ، إمعاناً فى الضّلال ، الرّبوبيّة « كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلاّ كذبا » وها هوذا يجادل إبراهيم عليه السّلام ، الّذى آتاه الله تعالى رشده ، يجادله فى ربّه جلّ وعلا وحده لاشريك له حينما قال له إبراهيم عليه السّلام وقد ادّعى الطّاغية أنّه ربّ : « ربيّ الّذى يحيى ويميت » وينبغى أن يكون الطّاغية قد فهم أنّ إبراهيم عليه السّلام يرشده إلى خطئه وينبّهه إلى ضلاله ، فهو ليس سوى مخلوق واحد من مخلوقات الله تعالى الّتى لايحيط بها أحد إلا إيّاه جلّ وعلا ، فادّعاؤه الرّبوبيّة مرفوض رفضاً باتاً من قبل إبراهيم عليه السّلام .

ولمّا كان للطّاغية مجال فى تأويل حجّة إبراهيم عليه السّلام حسب هواه ، وصرفها عن وجهها ، والعدول بها عن الحقيقة الّتى أرادها إبراهيم عليه السّلام وفهمها الطّاغية ولكنّه الكبر والعناد فزعم أنّه ، وهو الّذى ادّعى الرّبوبيّة ، يشترك مع ربّ إبراهيم عليه السّلام « كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلاّ كذبا » فى صفة الإحياء والإماتة فأحضر رجلين قتل أحدهما ، وهذا تأويل الإماتة فى عرفه ، وترك الآخر حيّاً ، وهذا تأويل الإحياء فى عرفه ، متجاهلاً الحقيقة الّتى يقصدها إبراهيم عليه السّلام

---

(١) تفسير القرطبيّ ١٠٩١ .

والّتى لا يجهلها الطّاغية ولكنّه التّغابى والتّغافل وعمى البصيرة ، لهذا تحوّل إبراهيم إلى حجّة أخرى ليس فيها مجال لعبث هذا الطّاغية ولا يستطيع أن يفرّ بشأنها عن حقيقتها ، وفى إفحامه وإلقامه حجراً إفحام له وإلقامه حجراً آخر بشأن الحجّة الأولى الّتى تجاوز إبراهيم عليه السّلام فى حقها تنبيه الطّاغية إلى حقيقة معنى الإحياء والإماته الّتى يعرفها جيّداً الطّاغية والّتى يتغافل عنها ويتجاهلها .

وقبل أن نتحوّل إلى الحجّة التّالية لإبراهيم عليه السّلام نودّ أن نلفت الانتباه إلى مظهرٍ من مظاهر إعجاز القرآن الكريم المتمثّل فى استعمال لفظي « رب » و «الله » فى القرآن الكريم . إنّ لفظ « ربّ » لا يُستَعْمَل فى القرآن الكريم إلاّ فى مجاله الخصوص والتّنبيه إلى تربية الله تعالى الخلق بالنّعم والآلاء وضرورة القيام بما يجب عليهم من شكر كفاء هذه النّعم والآلاء . وإنّ لفظ الجلالة « الله » لايستعمل فى القرآن الكريم إلاّ فى مجال العموم والتنبيه إلى ألوهة هذا إلاّ إلهٌ الواحد الفرد الصّمد الّذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد .

وها نحن أولاء أمام هذا الاستعمال الدّقيق لهذين اللّفظين فى الآية الكريمة . إنّه تجاه زعم النُّمرذ الطّاغية الرّبوبيّة وادّعائه لها وحرص إبراهيم عليه السّلام على إرشاد الطّاغية إلى خطئه ، وتنبيهه إلى الرّبّ الحقيقيّ الواحد المربّى الخلق بنعمه وآلائه ، وضرورة عودته إلى جادّة الصّواب قائماً بما يجب عليه من شكر لهذا الرّبّ المنعم المتفضّل الّذى يؤمن به إبراهيم عليه السّلام والّذى هداه الله تعالى إلى معرفة حقيقته فى ظلمات ليل الشرك المطبّق للآفاق آنذاك فهو ربّ إبراهيم عليه السّلام وربّ كلّ مخلوق ، إنّه تجاه كلّ ذلك يجىء فى الآية الكريمة لفظ « ربّ » فالله سبحانه وتعالى ربّ كلّ مخلوقٍ ، إذ ربّاه ونمّاه ونشّأه بنعمه وآلائه .

فإذا تحوّلنا إلى الحجّة التّالية تبيّنّا أنّ لفظ الجلالة « الله » الدّالّ على العموم هو الّذى يستعمل : «قال إبراهيم فإنّ الله يأتى بالشّمس من المشرق فأت بها من المغرب» فهذه النّعمة تعمّ كلّ الخلائق وليس فيها مجال لصرفها عن حقيقتها وليّها إلى الخصوص

كالّذى لجأ إليه الطّاغية حينما قتل أحد الرّجلين موهماً بأنّه هو الّذى أماته ، وعفا عن الآخر موهماً بأنّه هو الّذى أحياه .

لقد تحيّر الطّاغية ودَهِش لحجّة إبراهيم الثّانية العامّة المفحمة غير القابلة للتأويل والصّرف عن حيقيقتها . وفي إفحامه في الثّانية إفهام له بأنّ الحجّة الأولى مفحمة له هي الأخرى ، وإنّ فِراره إلى تأويلها وصرفها عن حقيقتها دليلٌ على إفحامه تجاه معناها الأوّليّ الحقيقيّ .

وتقرّر الآية الكريمة في التّذييل « والله لا يهدى القوم الظّالمين » أنّ الله تعالى لا يسدّد خطى الظّالمين ، ولا يوفّقهم للانتصار بحججهم الواهية الّتى يدلون بها ، بل يزيدهم عمى بصيرة إلى عماهم وصرفاً لقلوبهم عن الهدى كفاء انصرافهم عن الحقّ المبين وتنكّبهم الصّراط المستقيم .

وبشأن مجيء الفاء في القول : « قال إبراهيم فإنّ الله يأتى بالشّمس من المشرق » يقول أبو حيّان[1] : « ومجيء الفاء في فإنّ يدلّ على جملةٍ محذوفةٍ قبلها إذ لو كانت هي المحكيّة فقط لم تدخل الفاء وكان التّركيب : قال إبراهيم إنّ الله يأتى بالشّمس . وتقدير الجملة والله أعلم : قال إبراهيم إن زعمت ذلك أو موّهت بذلك فإنّ الله يأتى بالشّمس من المشرق » .

---

(١) البحر المحيط ٢ / ٢٨٩ .

﴿٢٥٩﴾ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

أو للعطف حملاً على المعنى[1] وهي واو العطف دخل عليها ألف الاستفهام الّذى معناه التّقرير[2] قرأ الجمهور أو ساكنة الواو . قيل : ومعناها التّفصيل وقيل التّخيير فى التّعجيب من حال ما ينشأ منهما ... ومن قرأ أو بحرف العطف فجمهور المفسّرين أنّه معطوف على قوله : ألم تر إلى الّذى حاجّ على المعنى إذ معنى : ألم تر إلى الّذى أرأيت كالّذى حاجّ . فعطف قوله : أو كالّذى مرّ على هذا المعنى . والعطف على المعنى موجود في لسان العرب[3] ويقول الزّمخشريّ[4] : « أو كالّذى معناه أو أرأيت مثل الّذى مرّ . فحذف لدلالة ألم تر عليه ، لأنّ كلتيهما كلمة تعجيب . ويجوز أن يحمل على المعنى دون اللّفظ كأنّه قيل : أرأيت كالّذى حاجّ إبرهيم أو كالّذى مرّ على قرية » .

والّذى مرّ هو عزير[5] وللزّمخشريّ اجتهاد لطيف فى تبيين طبيعة هذا المارّ بناءً على

---

١) تفسير القرطبيّ ١٠٩٦ .
٢) تفسير القرطبيّ ١٠٩٦ .
٣) البحر المحيط ٢ / ٢٩٠ .
٤) الكشّاف ١ / ٢٩٤ .
٥) تفسير القرطبيّ ١٠٩٧ وانظر الكشّاف ١/ ٢٩٤ والبحر المحيط ٢/ ٢٩٠ والجلالين وتفسير ابن كثير ١/ ٣١٤ .

السّياق مراعاةً لما سبق أعنى الّذى حاجّ إبراهيم فى ربّه وهو النُّمروذ الكافر، أو مراعاةً لما لحق والحديث عن إبراهيم عليه السّلام أبى الأنبياء. يقول[1] : « والمارّ كان كافراً بالبعث وهو الظّاهر لانتظامه مع نُمروذ فى سلك . ولكلمة الاستبعاد الّتى هي أنّى يحيى . وقيل : هو عزير أو الخضر أراد أن يعاين إحياء الموتى ليزداد بصيرةً كما طلبه إبراهيم عليه السّلام » .

والقرية المذكورة هي بيت المقدس[2] والّذى أخلى بيت المقدس حينئذ بختنصّر وكان والياً على العراق[3] وهو من بابل[4] .

وهي خاوية : أصل الخواء الخلّو . يقال : خوت الدّار وخَوِيَتْ تَخْوى خواء (ممدود) وخُوِيّاً : أقْوتْ وكذلك إذا سقطت ، ومنه قوله تعالى : فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ، أي خالية ، ويقال ساقطة ، كما يقال : فهي خاوية على عروشها أي ساقطة على سقفها[5] قال السّدىّ : يقول هي ساقطة على سقفها ، أي سقطت السُّقُف ثمّ سقطت الحيطان عليها ، واختاره الطّبرىّ . وقال غير السُّدىّ : معناه خاوية من النّاس والبيوت قائمة ، وخاوية معناها خالية[6] ويقول أبو حيّان[7] : « وهي خاوية على عروشها . قيل : المعنى خاوية من أهلها ثابتة على عروشها فالبيوت قائمة . وقال السّدىّ : ساقطة متهدّمة جدرانها على سقوفها بعد سقوط السّقوف » .

العروش جمع العريش[8] والعريش : سقف البيت وكلّ ما يتهيّأ لِيُظِلّ فهو عريش ومنه عريش الدّالية . ومنه قوله تعالى : وممّا يعرشون[9] وفى الحديث لمّا أمر ببناء

---

(١) الكشّاف ١ / ٢٩٤ .
(٢) تفسير القرطبي ١٠٩٧ والجلالين. والكشاف ١/ ٢٩٥ والبحر المحيط ٢/ ٢٩١ وتفسير ابن كثير ١/ ٣١٤ .
(٣) تفسير القرطبىّ ١٠٩٧ والجلالين والكشّاف ١/ ٢٩٥ وتفسير ابن كثير ١/ ٣١٤ .
(٤) تفسير القرطبىّ ١٠٩٨ .
(٥) تفسير القرطبىّ ١٠٩٨ وانظر البحر المحيط ٢/ ٢٨٥ وتفسير ابن كثير ١/ ٣١٤ .
(٦) تفسير القرطبىّ ١٠٩٨ .
(٧) البحر المحيط ٢ / ٢٩١ .
(٨) انظر القاموس « عرش » .
(٩) تفسير القرطبىّ ١٠٩٨ .

المسجد قالوا نبنيه لك بنياناً قال : لابل عرش كعرش أخي موسى، فوضعوا النّخل على الحجارة وغشّوه بالجريد وسعفه[1] .

أنّى تكون بمعنى أين ومتى وكيف[2] ومعنى : أنّى يحيي هذه الله بعد موتها : كيف يحيي هذه الله بعد موتها ، استعظاماً لقدرته تعالى[3] واعترافاً بالعجز عن معرفة طريقة الإحياء[4] والإحياء والإماتة هنا مجازان . عبّر بالإحياء عن العمارة وبالموت عن الخراب . وقيل حقيقتان فيكون ثمّ مضاف محذوف تقديره : أنّى يحيي أهل هذه القرية، أو تكون هذه إشارة إلى مادلّ عليه المعنى من عظام أهلها البالية وجثثهم المتمزقة وأوصالهم المتفرّقة[5] .

كم لبثت بمعنى كم مكثت[6] واللّبث : المكث والإقامة[7] والأظهر أنّ القائل هو الله تعالى لقوله : وانظر إلى العظام كيف نُنْشِزها ثمّ نكسوها لحماً والله أعلم[8] .

قال بل لبثت مائة عام : بل لعطف هذه الجملة على الجملة المحذوفة . التقدير : قال : ما لبثت هذه المدّة بل لبثت مائة عام[9] .

طعامك : التيّن . وشرابك العصير[10] .

لم يتسنّه : قرأ الجمهور بإثبات الهاء في الوصل[11] فعلى قراءة الجمهور الهاء أصليّة وحذفت الضمّة للجزم ، ويكون يتسنّه من السّنة أي لم تغيّره السّنون . قال الجوهريّ : ويقال : سنون . والسّنة واحدة السّنين ، وفى نقصانها قولان : أحدهما الواو والآخر الهاء . وأصلها سَنْهة مثل الجَبْهة ، لأنّه من سَنَهتِ النّخلة ، وتسنّهت إذا أتت عليها السّنون. ونخلة سنّاء أي تحمل سنة ولا تحمل أخرى. وسنهاء أيضاً. قال بعض الأنصار[12]

---

(١) البحر المحيط ٢ / ٢٨٥ .
(٢) القاموس « أنّى » .
(٣) الجلالين .
(٤) الكشّاف ١ / ٢٩٥ .
(٥) البحر المحيط ٢/٢٩١ وانظر تفسير القرطبيّ ١٠٩٨ .
(٦) الجلالين .
(٧) البحر المحيط ٢ / ٢٨٥ .
(٨) تفسير القرطبيّ ١٠٩٩ والبحر المحيط ٢/٣٩١ .
(٩) البحر المحيط ٢ / ٢٩٢ .
(١٠) الجلالين وانظر تفسير ابن كثير ١ / ٣١٤ ففيه : « كان معه فيما ذكر عنب وتين وعصير » .
(١١) تفسير القرطبيّ ١١٠٠ .
(١٢) هو سويد بن الصّامت .

فليست بسنهاء ولارُجَبيَّةٍ ولكن عرايا فى السّنين الجوائح[1]

وأسْنَهْتُ عند بنى فلان أقمت عندهم وتسنّيت أيضاً . واستأجرته مساناةً ومسانهة أيضاً . وفى التّصغير سُنَيَّة وسُنَيْهة[2] وقال مجاهد : لم يتسنّه لم ينتن . قال النّحاّس : أصّبح ما قيل فيه إنّه من السّنة أي لم تغيّره السّنون[3] .

كيف ننشزها : النَّشْز بسكون الشّين المكان المرتفع كالنّشاز بفتح النّون والنَّشَز محرّكة[4] وقراءة نُنْشِزها بالزّاي بمعنى نرفعها[5] « قال مكّيّ :المعنى انظر إلى العظام كيف نرفع بعضها على بعض فى التّركيب للإحياء ، لأنّ النَّشْز الارتفاع ومنه المرأة النّشوز[6] وهي المرتفعة عن موافقة زوجها ، ومنه قوله تعالى : وإذا قيل انشزوا فانشزوا ، أي ارتفعوا وانضمّوا »[7] .

والكسوة : ما وارى من الثّياب . وشبّه اللّحم بها . وقد استعاره لبيد للإسلام فقال:

الحمد لله إذ لم يأتنى أجلى حتّى اكتسيت من الإسلام سربالا[8]

هذه الآية الكريمة تعطف على سابقتها الّتى تتحدّث عن الّذى حاج إبراهيم فى ربّه جلّ وعلا فكلٌّ من الحالين فى الآيتين الكريمتين يستحقّ أن يتعجّب منه . أرأيت مثل الّذى حاجّ إبراهيم فى ربّه أو مثل الّذى مرّ على قرية بيت المقدس وهو عزير الّذى هاله

---

(١) نخلة رُجَبيّة كعمريّة وتشدّد الجيم ، وكلاهما نسب نادر . وترجيبها أن تضمّ أعذاقها (عراجينها) إلى سعفاتها ثمّ تشدّ بالخوص لئلاّ ينفضها الرّيح . وقيل : هو أن يوضع الشّوك حوالي الأعذاق لئلاّ يصل إليها آكل فلا تسرق ، وذلك إذا كانت غريبةً طريفة . العرايا واحدتها عريّة ، النّخلة يُعْريها صاحبها رجلاً محتاجاً فهي الّتى توهب وتطعم النّاس . والجوائح السّنون الشّداد الّتى تجيح المال . فهي من الجوح بمعنى الإهلاك والاستئصال. يقال : أعرى فلاناً النخّلة إذا وهبه ثمرة عامها .

(٢) تفسير القرطبيّ ١١٠١ .
(٣) تفسير القرطبيّ ١١٠٢ .
(٤) انظر القاموس « نشز » .
(٥) تفسير القرطبيّ ١١٠٣ .
(٦) بفتح النّون .
(٧) تفسير القرطبي ١١٠٣ وانظر البحر المحيط ٢ / ٢٨٦ .
(٨) تفسير القرطبي ١١٠٤ والبحر المحيط ٢ / ٢٩٤ وقد نسب البيت في البحر المحيط ٢ / ٢٩٥ إلى النّابغة خطأ .

خواء القرية من سكانها ، وبعد عهدهم بها ، وهجرها وإهمالها للدّرجة الّتى سقطت سقوفها ، تلا ذلك سقوط حيطانها على تلك السُّقُف . إنّه يُظَنُّ أنّ هذا المارّ قد تسرّب إلى نفسه شيء من استعظام عودة الحياة إلى القرية وإلى أهلها الّذين طال عهد موتهم ومن استبعاد ، فجاء على لسانه القول : « أنّى يُحْيى هذه الله بعد موتها » وقد شاءت العناية الإلٰهيّة أن تجعل آيةً منه ومن طعامه وشرابه وحماره . لقد أماته الله تعالى مائة عام بالتّمام والكمال ، وصرف تعالى عنه كلّ ما يمكن أن يمسّ جسده ويفسده من كلّ دابّةٍ فى رأي بعض المفسّرين[1] أمّا طعامه وهو التّين والعنب فيما يقال ، وأمّا شرابه وهو العصير أو اللّبن فيما يقال[2] فإنّ السّنين لم تغيّره ، وأمّا الحمار فقد نفق وغدا لبعد العهد بالموت عظاماً متناثرة . وبعد المائة العام أحيا الله تعالى المارّ على القرية الّذى استبعد عودة الحياة إلى أهلها وإليها . وبما أنّه مات أوّل النّهار وبُعِثَ آخره فإنّه حينما سئل : كم لبثت وما هي الفترة الزّمنيّة الّتى قضيتها قبل أن تستيقظ كان جوابه ، وشمس نهار ذلك اليوم لم تغرب بعد فى اعتقاده : لبثت يوماً أو بعض يوم . ونستطيع أن نفهم أنّه سبق إلى رُوعه هذه الفترة ، إضافةً إلى سبب الشّمس المشرقة أنّ طعامه وشرابه لم يتغيّرا . وكان تنبيهه إلى مُدّة لَبْثه : قال بل لبثت مائة عام . وكان تنبيهه إلى دليلين على قدرته جلّ وعلا المطلقة إضافةً إلى الدّليل المستفاد من ذاته هو وقد بعثه الله تعالى بعد أن أماته مائة عام . وأحد الدّليلين الطّعام والشّراب اللّذان لم يتغيّرا . وربمّا فُهِم من عدم تغيّر الطّعام والشّراب دليل على كون هذا المارّ لم يتغيّر بقدرة الله تعالى ، تماماً كما هو الحال بشأن أصحاب الكهف الّذين لبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنة شمسيّة أو ثلاثمائة وتسع سنوات قمريّة وآخر الدّليلين الحمار الّذى مات ورآه المارّ عظاماً نخرة وأشلاء مبعثرة . ويُفْهم من أَمْرِ المارّ بأن ينظر إلى عظام الحمار النّخرة ، وإلى جمعها بيد القدرة الإلٰهيّة وتركيبها ورفع بعضها إلى بعض حتى غدا هيكل الحمار قائماً وكَسْوِ العظام لحماً ، ونفخ الرّوح فى الحمار ونهيق الحمار بعد عودة الحياة إليه ، يُفْهَمُ من كلّ ذلك الدّليل العمليّ على قدرة الذّات العليّة المطلقة على إعادة الحياة إلى أهل القرية الأموات وإلى كلّ الأموات بإرادة الله تعالى . كما يَفْهَمُ المارّ ممّا رأى من أحوال الحمار الدّليل على قدرة الذّات العليّة المطلقة

---

(١) جاء فى البحر المحيط ٢ / ٢٩١ : « وقد منعه الله من السّباع والطّير ومنع العيون أن تراه » .

(٢) انظر الكشّاف ١ / ٢٩٥ .

الّتى أماتته مائة عام ثم بعثته فعاد كما كان حتّى إنّه حينما سئل فى ضوء النّهار : كم لبثت ؟ قال : لبثت يوماً أو بعض يوم .

وتفهم الإنسانيّة من آية إماتة المارّ وبعثه قدرة الذّات العليّة المطلقة على إعادة الحياة يوم القيامة إلى الخلائق من أجل الحساب فالجزاء . الثّواب والعقاب .

إنّ المارّ حينما تبيّن كلّ ذلك جاء على لسانه القول : « أعلم أنّ الله على كلّ شيءٍ قدير » وإنّ صيغة الزّمن المضارع أعلم يفهم منها تمثّل هذا المارّ الدّائم للعِلْم بقدرة الله تعالى المطلقة ، فالله تعالى لايعجزه شيء فى الأرض ولا فى السّماء . وكيف لا يكون علم هذا المارّ حاضراً ومتجدّداً وهو الّذى رأى من الآيات الدّالّة على قدرة الذّات العليّة المطلقة ما خصّه الله تعالى به ؟

﴿٢٦٠﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

وإذا قال : واذكر إذ قال[1] .

فخذ : أمره جلّ وعلا بالأخذ للطيور وهو إمساكها بيده ليكون أثبت فى المعرفة بكيفيّة الإحياء ، لأنّه يجتمع عليه حاسّة الرّؤية وحاسّة اللمس[2] الطّير : اسم جمع كركب وسفر وليس بجمع خلافاً لأبى الحسن[3] .

فصرهنّ إليك : أمِلْهُنّ إليك ، أي اضممهنّ واجمعهنّ إليك . يقال : رجل أصور إذا كان مائل العنق . وتقول إنّى إليكم لأصور ، يعنى مشتاقاً مائلاً . وامرأة صواءر والجمع صور مثل أسود وسود . قال الشّاعر .

الله يعلـــم أنّـــا فى تلفّتنـــا يوم الفِـــراق إلى جيراننـــا صـــــور

فقوله إليك .... على تأويل الإمالة والضمّ متعلّق بصرهنّ . وفى الكلام متروك : فأملهنّ إليك ثمّ قطّعهنّ[4] فإن قلت : ما معنى أمره بضمّها إلى نفسه بعد أن يأخذها قلت : ليتأمّلها ويعرف أشكالها وهيئاتها وحلاها لئلاّ تلتبس عليه بعد الإحياء ولا يتوهّم أنّها غير تلك[5] .

سعيا : السّعي هو الإسراع فى المشي[6] وكان إتيانهنّ مسرعاتٍ فى المشي أبلغ فى

---

(١) الجلالين والبحر المحيط ٢ / ٢٩٧ . (٢) البحر المحيط ٢ / ٢٩٩ .

(٣) البحر المحيط ٢ / ٢٨٦ وانظر ص ٢٩٩ فثمّة تفصيل .

(٤) تفسير القرطبيّ ١١٠٩ وانظر الجلالين والكشّاف ١ / ٢٩٦ والبحر المحيط ٢/٢٨٦ و ٢٩٩ .

(٥) الكشّاف ١ / ٢٩٧ وانظر البحر المحيط ٢ / ٢٩٩ .

(٦) البحر المحيط ٢ / ٣٠٠ .

الآية ، إذ إتيانهنّ إليه من الجبال يمشين مسرعات هو على خلاف المعهود لهنّ من الطّيران ، وليظهر بذلك عظم الآية ، إذ أخبره أنّهنّ يأتين على خلاف عادتهنّ من الطّيران فكان كذلك. وجعل سيرهنّ إليه سعياً إذ هو مِشية الجدّ الرّاغب فيما يمشي إليه لإظهار جدّها في قصد إبراهيم وإجابة دعوته . وانتصاب سعياً على أنّه مصدر في موضع الحال من ضمير الطّيور أي ساعيات[1] .

مناسبة الآية لما قبلها غاية في الوضوح . فإبراهيم عليه السّلام الّذي خاطب النّمروذ الطّاغية الّذي ادّعى الرّبوبيّة قائلاً على لسانه عليه الصّلاة والسّلام : « ربّي الّذي يحيي ويميت » يطلب من ربّه جلّ وعلا أن يريه بعينيه كيف يحيي جلّ وعلا الموتى ، بقصد أن يترقى من علم اليقين إلى عين اليقين[2] وقدفُصِل بين علم اليقين الّذي أشارت إليه الآية الّتي تتحدّث عن الّذي حاجّ إبراهيم في ربّه وبين عين اليقين الّذي أشارت إليه هذه الآية الكريمة ، بالحديث عن المارّ على القرية وإن كان محور الآيات الثّلاث واحداً هو الإحياء والإماتة ، لأنّ المارّ على القرية كان لديه شيء من شبهة استبعادٍ لإحياء الله تعالى الموتى ، فثمّة نوع من علاقة بين الشّخصيّتين في نظرتهما إلى الإحياء والإماته ، كلٌّ منهما بحاجة إلى توجيه وتسديد . وحينما تمّ التّحوّل من إبراهيم عليه السّلام إلى عين اليقين كان له الموطّيء من علم اليقين الّذي تجلّى في حواره عليه الصّلاة والسّلام مع النّمروذ الطّاغية .

إنّ إبراهيم عليه السّلام أبا الأنبياء يطلب من ربّه جلّ وعلا مربّيه بالنّعم والآلاء ، المعترف بنعمه جلّ وعلا وآلائه ، يطلب في طريقةٍ لطيفةٍ تنبيء بشكره لله جلّ وعلا على تربيته له بالنّعم والآلاء أن يريه كيف يحيي الموتى . لقد : « أحبّ أن يترقّى من علم اليقين بذلك إلى عين اليقين وأن يرى ذلك مشاهدة »[3] ويسأله جلّ وعلا الّذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السّماء العالم بإيمان إبراهيم عليه السّلام العميق :

---

(١) البحر المحيط ٢ / ٣٠٠ .

(٢) تفسير ابن كثير ١ / ٣١٥ .

(٣) تفسير ابن كثير ١ / ٣١٥ .

« أو لم تؤمن » ؟ ويكون الجواب من إبراهيم عليه السّلام مقرّراً لإيمانه العميق ورغبته فى الاستزاده من الإيمان . إنّ علم اليقين انتهى إليه عن طريق ما وصل إليه من وحي سماويّ . وإنّ عين اليقين سيصل إليه حينما يقترن بالمعلوم برهاناً المعلومُ عِياناً « وتظاهر الأدلة أسكن للقلوب وأزيد للبصيرة واليقين ، ولأنّ علم الاستدلال يجوز معه التشكيك بخلاف العلم الضّروريّ . فأراد بطمأنينة القلب العلم الّذى لامجال فيه للتّشكيك »[1] .

ويأمر ربّ العزّة إبراهيم عليه السّلام أن يأخذ بيديه أربعة من الطّير ، وأن يميلهنّ إليه ويضمّهنّ ، ويتأمّلهنّ ويتدبّرهنّ ، ويذبحهنّ ويخلط دماءهنّ ولحومهنّ وريشهنّ ، وأن يجعل على كلّ جبلٍ من جبال بلاده الأربعة[2] جزءً إهو بمثابة الرّبع من كلّ طائر ، وأن يمسك برءوسهنّ ، وأن يدعوهنّ صائحاً بهنّ : تعالَيْنَ بإذن الله تعالى . ويكون من أجزاء الطّير المختلطة المتفرّقة اجتماع والتئام ، ويكون من كلّ طائر اتّجاه إلى إبراهيم عليه السّلام فى هيئة السّعي السّريع مشياً على الأقدام ، من تمام الآية وكما لها ، إلى أن يلتحم الجسد المتحرّك برأسه الممسك به إبراهيم عليه السّلام . إنّ كلّ ذلك قد حدث بقدرة اللهتعالى القادر على كلّ شيءٍ الّذى لايعجزه شيء فى الأرض ولا فى السّماء . وتأمر الآية الكريمة فى تذييلها إبراهيم عليه السّلام أن يعلم أنّ الله تعالى عزيز فى ملكه حكيم فى صنعه جلّ وعلا .

---

(١) الكشّاف ١ / ٢٩٦ .

(٢) انظر تفسير ابن كثير ١ / ٣١٥ والكشّاف ١ / ٢٩٧ .

الحث على الإنفاق في سبيل الله تعالى
وشروطه وثوابه
(الآيات ٢٦١-٢٧٤)

﴿٢٦١﴾ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ

مَثَل : صفة[1] .

والحبّة : اسم جنس لكلّ ما يزدرعه[2] ابن آدم ويقتاته . وأشهر ذلك البُرّ ، فكثيراً ما يراد بالحبّ ، ومنه قوله المتلمّس :

آليْتُ حَبَّ العراق الدّهْرَ أَطْعَمُهُ والحبُّ يأكله فى القرية السّوس[3]

والسّنابل : سنابل الزّرع من البُرّ والشّعير والذّرة ، الواحدة سُنْبُلة .... وقد سَنْبَلَ الزّرعُ إذا خرج سُنْبُله .... وسَنْبَلَ ثَوْبَهُ إذا أسبله وجرّه من خلفه أو أمامه ، والنّون زائدة مثلها في سُنْبُل الطّعام[4] فسُنْبُلة فُنْعُلة من أَسْبَلَ الزّرع إذا صار فيه السُّنبل ، أي استرسل بالسُّنبل كما يسترسل السّتر بالإسبال[5] قال ابن عطيّة : وقد يوجد فى سنبل القمح ما فيه مائة حبّة ، فأمّا فى سائر الحبوب فأكثر ولكنّ المثال وقع بهذا القدر[6] ومعنى إنباتها سبع سنابل أن تخرج ساقاً يتشعّب منها سبع شعب ، لكلّ واحدة سنبله[7] وهذا التّمثيل تصوير للأضعاف كأنّها ماثلة بين عيني النّاظر[8] وبشأن القول « سبع سنابل » يقول أبو حيّان[9] : « وخصّ سبعاً من العدد لأنّه كما ذكروا أقصى ما تخرجه الحبّة من الأسوق .... قيل : واختصّ هذا العدد لأنّ السّبع أكثر أعداد العشرة . والسّبعين أكثر أعداد المائة . وسبع المائة أكثر أعداد الألف . والعرب كثيراً ما تراعى هذه الأعداد. قال تعالى: سبع سنابل، وسبع ليال، وسبع سنبلات، وسبع بقرات، وسبع

---

(١) الجلالين والبحر المحيط ٢ / ٣٠٣ (٢) بمعنى يزرعه كما فى البحر المحيط ٢ / ٣٠٢ .
(٣) تفسير القرطبيّ ١١١٢ وانظر البحر المحيط ٢ / ٣٠٢ .
(٤) لسان العرب « سنبل » . (٥) تفسير القرطبيّ ١١١٢ .
(٦) تفسير القرطبيّ ١١١٢ .
(٧) الكشّاف ١/٢٩٧ وانظر أمثال القرآن لابن القيّم ص ٥٠ والبحر المحيط ٢/٣٠٤ .
(٨) البحر المحيط ٢ / ٣٠٤ . (٩) البحر المحيط ٢ / ٣٠٤ .

سماوات ، وسبع سنين ، وإن تستغفر لهم سبعين مرّة . ذرعها سبعون ذراعاً . وفى الحديث : إلى سبعمائة ضعف ، إلى سبعة آلاف ، إلى ما لايحصى عددَه إلاّ الله . وأتى بالتّمييز هنا بالجمع الّذى لانظير له فى الآحاد . وفى سورة يوسف بالجمع بالألف والتّاء فى قوله : وسبع سنبلات خضر » ويضيف قائلاً[1] : « وتحصّل من هذا الّذى قرّرناه أنّ قوله سبع سنابل جاء على ما تقرّر فى العربيّة من كونه جمعاً متناهياً ، وأنّ قوله سبع سنبلات إنّما جاز لأجل مشاكلة سبع بقرات ومجاورته » .

مناسبة الآية الكريمة .

يقول القرطبيّ[2] : « لمّا قصّ الله سبحانه وتعالى ما فيه من البراهين ، حثّ على الجهاد ، وأعلم أنّ من جاهد بعد هذا البرهان الّذى لا يأتى به إلاّ نبيّ فله فى جهاده الثّواب العظيم » .

من المعروف أنّ الجهاد فى سبيل الله تعالى يقوم على دعامتين إحداهما الجهاد بالنّفس وأخراهما الجهاد بالمال . ومع أنّ القول فى الآية الكريمة : « فى سبيل الله » يعنى فى المقام الأوّل الجهاد فى سبيل الله تعالى بالمال[3] فإنّه وراء ذلك يشمل كلّ أوجه البّر الّتى ينفق فيها المرء ماله ابتغاء مرضاة الله تعالى .

والآية الكريمة تشير إلى الثّواب الجزيل الّذى أعدّه الله تعالى للمنفق ماله فى سبيل الله تعالى . إنّ هذا المال مهما كان قليلاً ، ولكنّه مال طيّب ، وتجود به نفس صاحبه عن طيب خاطر وانشراح صدر وابتهاج نفس ، ويريد به وجه ربّه الأعلى ، ويضعه فى موضعه ، فإنّ هذا المال المنفق وإن كان قليلاً في ذاته فإنّه بمثابة الحبّة الواحدة الّتى تزكو نبتتها بسبب العناية من الزّارع بها ، وبفعل التّربة الطّيّبة ، والبيئة الصّالحة . وتنبت هذه

---

(١) البحر المحيط ٢ / ٣٠٥ .

(٢) تفسير القرطبي ١١١٠ .

(٣) قيل إنّ الآية الكريمة نزلت فى عثمان بن عفّان وعبد الرحمن بن عوف فى غزوة تبوك . تفسير القرطبي صفحة ١١١١ .

الحبّة المباركة بإذن ربّها سبع سنابل ، فى كلّ سنبلة مائة حبّة . وكأنّ الحسنة بسبعمائة ضعف . بل إنّ فضل الله تعالى الّذى ليس له حدّ يتجاوز حدّ السّبعمائة ضعف إلى مالا يحصيه إلاّ الله تعالى من أضعاف فى حقّ من يشاء الله تعالى له ذلك بناءً على نيّته فإنّما الأعمال بالنيّات . وتقرّر الآية الكريمة أنّ الله واسع ، فلا حدّ لفضله ، عليم بمن يستحقّ هذا الفضل منه جلّ وعلا كفاء عمله الصّالح الّذى أراد به وجه ربّه الأعلى ، فالله سبحانه وتعالى لايقبل من الأعمال إلاّ ما كان صالحاً وأريد به وجهه الكريم وحده لا شريك له جلّ وعلا . نسأل الله تعالى التّوفيق والقبول إنّه سميع مجيب .

﴿٢٦٢﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ

سبب النّزول .

قيل إنّها نزلت فى عثمان بن عفّان رضي الله عنه . قال عبد الرّحمن بن سَمُرة : جاء عثمان بألف دينار فى جيش العُسْرة فصبّها فى حِجْر رسول الله ﷺ فرأيته يدخل يده فيها ويقلّبها ويقول : ما ضرّ ابنَ عفّان ما عمل بعد اليوم . اللّهُمَّ لا تَنْسَ هذا اليوم لعثمان. وقال أبو سعيد الخدريّ : رأيت النّبيّ ﷺ رافعاً يديه يدعو لعثمان يقول : ياربِّ عثمان ، إنّى رضيت عن عثمان فارض عنه . فما زال يدعو حتّى طلع الفجر فنزلت : الّذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثمّ لايتبعون ما أنفقوا مَنّاً ولا أذىً الآية[1] .

مناسبة الآية الكريمة .

لمّا تقدّم فى الآية الّتى قَبْلُ ذِكْرُ الإنفاق فى سبيل الله على العموم ، بيّن فى هذه الآية أنّ ذلك الحكم والثّواب إنّما هو لمن لايتبع إنفاقه منّاً ولا أذى ، لأنّ المنّ والأذى مبطلان لثواب الصّدقة كما أخبر تعالى فى الآية بعد هذا . وإنّما على المرء أن يريد وجه الله تعالى وثوابه بإنفاقه على المنفَق عليه ، ولا يرجو منه شيئاً ، ولا ينظر من أحواله فى حالٍ سوى أن يراعي استحقاقه . قال الله تعالى : لانريد منكم جزاءً ولا شكوراً[2] .

مَنّاً : المنّ فى اللّغة القطع ، لأنّ المنعم يقطع قطعةً من ماله لمن ينعم عليه[3] والمراد بالمنّ فى الآية الكريمة ذكر النّعمة على معنى التّعديد لها والتّقريع بها ، مثل أن يقول : قد أحسنت إليك ، ونَعَشْتُك وشبهه[4] بمعنى أن يعتدّ على من أحسن إليه بإحسانه ويريه أنّه

---

(١) تفسير القرطبي ١١١٤ .
(٢) تفسير القرطبي ١١١٥ .
(٣) البحر المحيط ٢ / ٣٠٢ .
(٤) تفسير القرطبي ١١١٦ .

اصطنعه وأوجب عليه حقّاً له . وكانوا يقولون : إذا صنعتم صنيعةً فانسوها . ولبعضهم :

وإن امـــرءً أســـدى إلـــيّ صنيعـــةً وذكّرنيهـــا مـــرّةً للئيـــمُ

وفى نوابغ الكلم : صنوان من منح سائله ومنّ ، ومن منع سائله وضنّ . وفيها : طعم الآلاء أحلى من المنّ[1] والمنّ من الكبائر : ثبت فى صحيح مسلم وغيره أنّه أحد الثّلاثة الّذين لاينظر الله إليهم ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم . وفى النّسائي : ثلاثة لايدخلون الجنّة ، العاقّ لوالديه ، ومدمن الخمر ، والمانّ بما أعطى[2] ونصّ على المنّ وقدّم لكثرة وقوعه من المتصدّق[3] .

والأذى : السّبّ والتّشكّى . وهو أعمّ من المنّ ، لأنّ المنّ جزء من الأذى[4] ومن الأذى أن يتطاول عليه بسبب ما أسدى إليه[5] .

ومعنى ثمّ : إظهار التّفاوت بين الإنفاق وترك المنّ والأذى وأنّ تركهما خير من نفس الإنفاق ، كما جعل الاستقامة على الإيمان خيراً من الدّخول فيه بقوله : ثمّ استقاموا[6] .

بعد أن بيّنت الآية الكريمة السّابقة ثواب الّذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله تعالى ، نصّت هذه الآية الكريمة على أنّ المستحقّين لذلك الثّواب ، هم الّذين ينفقون أموالهم في سبيل الله تعالى حقاً وصدقاً ، بدليل أنّهم لايتبعون ما انفقوا منّاً على من أعطوا بأن يعتّدوا عليه بإحسانهم إليه ، ولا أذًى بأن يتطاولوا عليه بسبب ما أسدوا إليه ، لأنّ المنّ والأذى مبطلان للصّدقة[7] ولأنّ المانّ ، طالبَ الشّكر والثّناء ، صاحِبُ سمعة ورياء ، ولأنّ المؤذى ، طالبَ الجزاء ، تاجر يقصد ربحاً ، فهو لا يستحقّ حمداً ولا مدحاً[8]

---

(١) الكشّاف ١ / ٢٩٧ .
(٢) البحر المحيط ٢ / ٣٠٦ وانظر تفسير القرطبي ١١١٦ .
(٣) البحر المحيط ٢ / ٣٠٦ .
(٤) تفسير القرطبي ١١١٦ .
(٥) الكشّاف ١ / ٢٩٨ .
(٦) الكشّاف ١ / ٢٩٨ .
(٧) البحر المحيط ٢ / ٣٠٦ .
(٨) انظر تفسير القرطبيّ ١١١٦ والبحر المحيط ٢ / ٣٠٦ .

ومعروف أنّ المنّ من الكبائر[1] والأذى مشتمل على المنّ لأنّه أعمّ منه ، فهو لا حق به .

إنّ أولئك الّذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله تعالى ، ومن مظاهر الإنفاق إعطاء الّذين تجوز عليهم الصّدقة ، ثمّ لايفسدون صدقاتهم بالمنّ والأذى ، بمعنى أنّهم لايفعلون مع من أحسنوا إليه مكروها يحبطون به ما سلف من الإحسان[2] لهم أجرهم الجزيل عند ربّهم ، وثواب إنفاقهم ، ولا خوف عليهم بعد موتهم لما يستقبلون ، ولا هم يحزنون على ما سلف من دنياهم[3] وعلى ما خلّفوه من الأولاد ، ولا ما فاتهم من الحياة الدّنيا وزينتها . لايأسفون عليها لأنّهم قد صاروا إلى ما هو خير لهم من ذلك[4] .

---

(١) البحر المحيط ٢ / ٣٠٦ وتفسير القرطبيّ ١١١٦ .

(٢) تفسير ابن كثير ١ / ٣١٨ .

(٣) تفسير القرطبيّ ١١١٧ .

(٤) تفسير ابن كثير ١ / ٣١٨ .

﴿٢٦٣﴾ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ

إذا كانت الآية الكريمة قبل السّابقة قد حثّت على الإنفاق فى سبيل الله تعالى ووعدت بالثّواب الجزيل عليه ، وكانت الآية الكريمة التّالية قد اشترطت استحقاق الثّواب الجزيل على الإنفاق فى سبيل الله تعالى بعدم إتباع الإنفاق منّاً ولا أذًى ، فإنّ هذه الآية الكريمة قد بيّنت أنّ القول المعروف ، والكلمة الطّيّبة للسّائل ، والعفو عنه إذا ألحّ وألحف فى المسألة ، خير من صدقةٍ يتبعها أذىً ، والله غنيٌّ عن العباد فهو الّذى استخلفهم على المال الّذى منه ينفقون ، والله حليم عن المؤذى للسّائل . ولمّا كان أكثر ما يتعرّض له السّائل الإيذاء ، وربمّا تعرّض للمنّ وهو جزء من الإيذاء ، اكتفت الآية الكريمة بالنّص على الإيذاء . : « قال ﷺ : الكلمة الطّيّبة صدقة ، وإنّ من المعروف أن تلقى أخاك بوجْهٍ طَلِق . أخرجه مسلم . فيتلقّى السّائل بالبشر والتّرحيب ، ويقابله بالطّلاقة والتّقريب ، ليكون مشكوراً إن أعطى ومعذوراً إن منع »[1] « وروي من حديث عمر رضي الله عنه قال : قال النّبيّ ﷺ : إذا سأل السّائل فلا تقطعوا عليه مسألته حتّى يفرغ منها ثمّ ردّوا عليه بوقار ولين أو ببذلٍ يسير أو ردٍّ جميل، فقد يأتيكم من ليس بإنسٍ ولا جانّ ينظرون صنيعكم فيما خوّلكم الله تعالى . قلت : دليله حديث أبرص وأقرع وأعمى ، خرّجه مسلم وغيره وذلك أنّ مَلَكاً تصوّر فى صورة أبرص مرّة وأقرع أخرى وأعمى أخرى امتحاناً للمسئول »[2] وقد قال بعض الحكماء : الق صاحب الحاجة بالبشر فإن عدمت شكره لم تعدم عذره[3] .

---

(١) تفسير القرطبي ١١١٧ .

(٢) تفسير القرطبي ١١١٨ .

(٣) تفسير القرطبي ١١١٧ .

﴿٢٦٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ

لا تبطلوا صدقاتكم : أي أجورها[1] .

كالّذى ينفق ماله : أي إبطالاً كإبطال صدقة الّذى ينفق[2] فالكاف فى موضع نصب فهي نعت للمصدر المحذوف[3] .

رئـاء : فِعال ، مصدر من راء من الرّؤية . ويجوز إبدال همزته ياءً لكسرة ما قبلها ، وهو أن يُري النّاس ما يفعله من البرّ حتّى يثنوا عليه ويعظّموه بذلك لانيّة له غير ذلك[4] وانتصاب رئاء على أنّه مفعول من أجله أو مصدر فى موضع الحال[5] .

فمثله : الظّاهر عودة الضّمير إلى الّذى ينفق ماله رئاء النّاس[6] والصّفوان : الحجر الكبير الأملس . وتحريك فائه بالفتح لغة . وقيل هو اسم جنس واحده صفوانة[7] .

والوابل : المطر الشّديد[8] .

والصّلد : الأملس من الحجارة[9] .

---

(١) الجـلالين .
(٢) البحر المحيط ٢ / ٣٠٨ والجلالين .
(٣) تفسيرالقرطبيّ ١١٢٠ .
(٤) البحر المحيـط ٢ / ٣٠٢ .
(٥) البحر المحيـط ٢ / ٣٠٩ .
(٦) انظر البحر المحيـط ٢ / ٣٠٩ .
(٧) البحر المحيط ٢ / ٣٠٢ وانظر تفسير القرطبي ١١٢١ ، وتفسير ابن كثير ١ / ٣١٨ .
(٨) تفسير القرطبي ١١٢١ والجلالين والبحر المحيط ٢ / ٣٠٢ وتفسير ابن كثير ١ / ٣١٨ .
(٩) تفسير القرطبي ١١٢١ والجلالين والبحر المحيط ٢ / ٣٠٢ وتفسير ابن كثير ١ / ٣١٨ .

فى هذه الآية الكريمة يكون الحديث عن المنّ والأذى للمرّة الثالثة . لقد تبيّن فى المرّة الأولى أنّ الثواب الجزيل للإنفاق في سبيل الله تعالى إنمّا هو للّذين لايتبعون ما أنفقوا منًّا ولا أذى. وتبيّن فى المرّة الثّانية تفضيل القول المعروف والمغفرة على الصّدقة الّتى يتبعها الأذى. ويلحقّ المنّ بالأذى. وفى هذه الآية الكريمة يكون الحديث للمرّة الثّالثة عن المنّ والأذى فى هيئة نهي المتصّدقين عن إبطال صدقاتهم بالمنّ والأذى . وتقدّم الحديث هنا عن المنّ كما تقدّم فى المرّة الأولى ، بسبب كثرة المنّ بالقياس إلى الأذى. إنّ ربّ العزّة يأمر المؤمنين الخليقين بالاستفادة من منهج التّربية القرآنيّة بألاّ يبطلوا أجور صدقاتهم بالمنّ والأذى إبطالاً كإبطال المرائى الّذى لايؤمن بالله واليوم الآخر أجر نفقته الّتى لايريد بها وجه ربّه الأعلى ولكن يريد حُسْن الأحدوثة ومن ثمّ هو يرى النّاس ما يفعله من البّر حتىّ يثنوا عليه ويعظّموه . إنّ ذلك هو منتهى همّه . وإنّ مراءاة النّاس مبطلة للصّدقات تماماً كما يبطلها المنّ والأذى سواءً بسواء .

وتضرب الآية الكريمة المثل على ذهاب ثواب المرئى المنافق الّذى لايؤمن بالله واليوم الآخر ، ويلحق به الّذى يبطل صدقاته بالمنّ والأذى ، كما يلحق به الكافر الّذى جعل الله تعالى ما قدّم من أعمال طيّبة لايريد بها وجه الله تعالى هباءً منثورا ، وقد ألمحت الآية الكريمة فى نهايتها إلى هذا الكافر فى القول : « والله لايهدى القوم الكافرين» وبهذا يضيف التّذييل فئةً جديدة إلى الفئات الّتى حبط عملها والّتى نصّ عليها صُلْب الآية الكريمة ، وهذا من مظاهر إعجاز القرآن الكريم . وهذا هو المثل . قال تعالى : « فمثله كمثل صفوان عليه ترابٌ فأصابه وابل فتركه صلداً لايقدرون على شيءٍ ممّا كسبوا . والله لايهدى القوم الكافرين » .

إنّ الآية الكريمة تنزّل المرائي ، وبخاصّةٍ قلبه[1] المنصرف عن الله تعالى المقبل على الدّنيا وحُسْن الذّكر فيها ، منزلة الصّخرة الصّمّاء والحجر الكبير الأملس . ويوجد على هذه الصّخرة الصّمّاء والحجر الأملس قليل من التراب ، هو بمثابة العمل القليل الّذى قام

(١) انظر هنا أمثال القرآن لابن القيّم ص ٥٢ .

به ذلك المرائى الّذى لا يريد بعمله وجه الله تعالى . إنّ ذلك العمل ضعيف الصّلة بذلك القلب ، لأنّه قلب غير موصولٍ بالله تعالى . وإنّ ذلك التّراب ضعيف الصّلة بذلك الحجر الأملس ، لأنّه حجر غير موصولٍ بالتّربة الصّالحة كالرّبوة مثلاً الّتى ينمو فيها النّبات ويزكو .

وحينما هطلت تعاليم السّماء في هيئة القرآن الكريم وسنّة المصطفى ﷺ لم تجد بذور الخير الّتى يمكن أن تزكو وتنمو في التّربة الصّالحة . إنّ ثمّة بذور أعمال قام بها المرائى لظاهرها فى أعين النّاس معنى بديع هو بمثابة التّراب الّذى يمكن أن ينمو فيه النّبات ويزكو . ولباطنها معنًى مغاير أحاط به اللّطيف الخبير الّذى لايخفى عليه شيء فى الأرض ولا فى السّماء . وتشبه حقيقة ذلك المعنى الخفِيّ عن الخلق حقيقة الصّخرة الصّمّاء الّتى لايثبت عليها النّبات ولا يزكو .

إنّ قلب المرائى فى هذه الحياة « ليس له ثبات عند وابل الأمر والنّهي والقضاء والقدر ، فإذا نزل عليه وابل الوحي انكشف عنه ذلك التّراب اليسير الّذى كان عليه ، فبرز ما تحته صلداً لانبات فيه »[1] وإنّ قلب المرائى يوم القيامة[2] يزول طلاؤه الخارجيّ ويظهر جليّاً على حقيقته بمثابة الصّخرة الصّمّاء الملساء فهو لانقطاعه عن الله تعالى غير مشتمل على خيرٍ وليس تربةً صالحة لأيّ خير . لقد عري المرائى على حقيقته كما عري قلبه ، وكشف وابل الأمر والنّهي كما كشف يومُ القيامة عن ذلك القلب الّذى هو كالحجر بل هُو أشدّ قسوة ، وظهرت حقيقة ذلك القلب غير الموصول بالله تعالى كما ظهرت حقيقة الصّفوان الّذى أصابه المطر الشّديد فأزال الغطاء الخارجيّ البرّاق من التّراب الّذى يوهم النّاظر إليه أنّه موصولٌ بتربة صالحة لثبات النّبات ونموّه . إنّ على كلّ من الحجر الأملس وقلب المرائى غشاءً خلاّباً خداعاً . وها هوذا الغشّ قد زال ، والكذب قد افتضح ، والغطاء قد انكشف .

---

(١) أمثال القرآن لابن القيّم ص ٥٢ .

(٢) انظر البحر المحيط ٢ / ٣٠٩ .

ومن البيّن أنّ هذا المثل وإن كان مرتبطاً بالمرائى فى المقام الأوّل فإنّه مرتبط وراء ذلك بدلالة الالتزام بكلّ من الّذى يبطل أجور صدقته بالمنّ والأذى ، لأنّه مخالف لتعاليم القرآن الكريم وسنّة أشرف الأنبياء والمرسلين بسبب ضعف صلة قلبه بتلك التّعاليم ، والمنافق الّذى يظهر خلاف ما يبطن ، والكافر ، بمعنى الكفر الّذى هو تغطية الخير هنا ، ويستوى فى ذلك تغطية أكبر نعم الله تعالى ألا وهو الهداية إلى الصّراط المستقيم ، وتغطية نعم الله تعالى وآلائه الّتى لاتُحصْى ومنها نعمة المال الّذى جعل الله تعالى العبد الّذى آتاه ذلك المال مستخلفاً فيه . أينفق ممّا آتاه الله تعالى وله ثواب الإنفاق أم يبخل « ومن يَبْخَلْ فإنّما يبخل عن نفسه . والله الغنيّ وأنتم الفقراء . وإن تتولّوْا يستبدل قوماً غيركم ثمّ لايكونوا أمثالكم »[1] .

---

(١) سورة محمّد ٣٨ .

﴿٢٦٥﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ

ابتغاء معناه طلب[1] وجوّزوا فى ابتغاء أن يكون مصدراً فى موضع الحال أي مبتغين ، وأن يكون مفعولاً من أجله وكذلك وتثبيتاً[2] .

ومرضاة : مصدر مِنْ رَضِي يَرْضى[3] .

وتثبيتاً . جاء فى تفسير القرطبي[4] « ... وقال الشّعبيّ والسّدّيّ وقتادة أيضاً وابن زيد وأبو صالح وغيرهم : وتثبيتاً معناه وتيقُّناً . أي أنّ نفوسهم لها بصائر فهي تثبّتهم على الإنفاق فى طاعة الله تثبيتاً » وجاء في أمثال القرآن لابن القيّم[5] : « فإنّ ثواب الإنفاق يتفاوت بحسب ما يقوم بالقلب من الإيمان والإخلاص ، والتّثبّت عند النّفقة ، وهو إخراج المال بقلبٍ ثابت قد انشرح صدره بإخراجه وسمحت به نفسه ، وخرج من قلبه قبل خروجه من يده ، فهو ثابت القلب عند إخراجه ، غير جزع ولا هلع ولا متبعه نفسه ترجف يده وفؤاده » وجاء فى الجلالين : « أي تحقيقاً للثّواب عليه بخلاف المنافقين الّذين لا يرجونه لإنكارهم له » وجاء فى الكشّاف[6] : وتثبيتاً من أنفسهم : ولِيُثَبِّتوا منها ببذل المال الّذى هو شقيق الرّوح . وبذله أشقّ شيءٍ على النّفس على[7] سائر العبادات الشّاقّة وعلى الإيمان ، لأنّ النّفس إذا ريضت بالتّحامل عليها وتكليفها ما يصعب عليها ذلّت خاضعةً لصاحبها وقلّ طمعها في اتّباعه لشهواتها وبالعكس ، فكان إنفاق المال تثبيتاً لها على الإيمان واليقين » .

---

(١) تفسير القرطبيّ ١٢٢ والجلالين .
(٢) البحر المحيط ٢ / ٣١٠ وانظر تفسير القرطبيّ ١١٢٢ .
(٣) تفسير القرطبيّ ١١٢٢ .
(٤) ص ١١٢٢ وانظر البحر المحيط ٢ / ٣١١ .
(٥) ص ٥٠ .
(٦) ١ / ٢٩٨ .
(٧) على هنا بمعنى مِنْ .

الجنّة : البستان . وهي قطعة أرض تنبت فيها الأشجار حتّى تغطّيها ، فهي مأخوذة من لفظ الجنّ والجنين لاستتارهم[1] .

والرّبوة : المكان المرتفع ارتفاعاً يسيراً معه فى الأغلب كثافة تراب[2] واستواء[3] وما كان كذلك فنباته أحسن ولذلك خصّ الرّبوة بالذّكر[4] والرّبوة قد يجرى فيها الماء وقد قال تعالى[5] : « وجعلنا ابن مريم وأمّه آيةً وآويناهما إلى ربوةٍ ذات قرارٍ ومَعين » وقد لايجرى فيها الماء كهذه الرّبوة الّتى أشارت إليها آية البقرة الكريمة . « قال الخليل .... وخصّ الله تعالى بالذّكر الّتى لايجرى فيها ماء من حيث العُرفُ فى بلاد العرب ، فمثّل لهم ما يحسّونه ويدركونه »[6] .

وابل : أي مطر شديد . قال الشّاعر (وهو الأعشى ميمون بن قيس)

ماروضةٌ منْ رياض الَحْزن مُعْشِبةٌ خضراء جاء عليها وابل هَطِلُ[7]

فآتت : أي أعطت[8] .

أُكُلَها ، بضمّ الهمزة[9] وبضمّ الكاف وسكونها[10] الثّمر الّذى يؤكل . ومنه قوله تعالى : تؤتى أُكُلَها كلَّ حين[11].

ضعفين : أي أعطت ضعفي ثمر غيرها من الأرضين[12] والضّعف بمعنى المثل[13] ونصب ضعفين على الحال[14] .

والطّلّ : المطر الضّعيف المستدقّ من القطر الخفيف . قاله ابن عبّاس وغيره ، وهو

---

(١) تفسير القرطبيّ ١١٢٣ .
(٢) تفسير القرطبيّ ١١٢٣ .
(٣) الجلالين .
(٤) تفسير القرطبيّ ١١٢٣ .
(٥) سورة المؤمنون ٥٠ .
(٦) تفسير القرطبيّ ١١٢٣ .
(٧) تفسير القرطبيّ ١١٢٤ .
(٨) تفسير القرطبيّ ١١٢٤ والجلالين والبحر المحيط ٢ / ٣١٢ .
(٩) تفسير القرطبيّ ١١٢٤ .
(١٠) الجلالين .
(١١) تفسير القرطبيّ ١١٢٤ .
(١٢) تفسير القرطبيّ ١١٢٥ .
(١٣) انظر الجلالين والكشّاف ١ / ٢٩٨ .
(١٤) البحر المحيط ٢ / ٣١٢ .

مشهور اللّغة[1] قال المبرّد وغيره : تقديره فطلّ يكفيها[2] وفى الصّحاح : الطَّلُّ أضعف المطر، والجمع الطّلال . تقول منه : طُلَّت الأرض وأطلَّها النّدى فهي مطلولة[3] .

تحدّثت الآية الكريمة السّابقة عن مثل المرائى الّذى لايؤمن بالله واليوم الآخر وقد بطلت صدقته وذهب ماله الّذى أنفقه أدراج الرّياح. وفى مقابل الصّفتين الرّيئسيّتين اللّتين خلعتهما الآية الكريمة على من أبطل صدقته بسببهما وهما الرّياء وعدم الإيمان بالله واليوم الآخر ، تخلع الآية الكريمة الّتى نحن بصددها والّتى تتحدّث عن المثل المقابل صفتين يتحلّى بهما المؤمنون المنفقون أموالهم فى سبيل الله تعالى حقاً . وهاتان الصّفتان هما ابتغاء مرضاة الله تعالى وتثبيتٌ من أنفسهم . إنّ هذه الصّفة فى الآية الكريمة: « ومثل الّذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله » تنصّ على الهدف الحقيقي لهذا الفريق المؤمن حينما ينفق فى سبيل الله تعالى . إنّ ظاهره كباطنه ، فهو بعيدٌ عن الرّياء والسّمعة وحسن الأُحدوثة ، ناءٍ عن المنّ والأذى، مؤمن بالله تعالى وحده لاشريك له وباليوم الآخر، لايريد بإنفاقه ماله سرّاً وعلانيةً ، ليلاً ونهاراً ، إلاّ ابتغاء مرضاة الله تعالى . وإنّ هذه الصّفة التّالية فى الآية الكريمة « وتثبيتاً من أنفسهم » تغوص فى الأعماق البعيدة الغور لأولئك المنفقين أموالهم فى سبيل الله تعالى . إنّ نفوسهم هاشّة باشّة للإنفاق فى سبيل الله تعالى، مقبلة بعزيمةٍ وثبات على الإنفاق ، مطمئنّة إلى أنّها بإنفاقها يزداد رسوخ إيمانها ويَقينُها فى فضل الله تعالى العميم، وكرمِه الّذى ليس عليه من مزيد ، وتُعطى الدّليل الأكيد، على ثبات إيمانها القويّ، الّذى ترجو له المزيد من السّداد والتّوفيق . وإنّ من أهمّ نعوت هذا الفريق من المؤمنين الّذين يريدون بنفقاتهم وجه ربّهم الأعلى أنّ ما يتصدّقون به يخرج من قلوبهم المنشرحة لإخراجه قبل خروجه منْ أيديهم، وأنّ السّعادة الّتى تملأ نفوسهم الّتى بين جنوبهم بعد الإنفاق، أكثر منها قبل الإنفاق، لأنّ هذه النّفوس الثّابتة الإيمان، الرّاسخة اليقين، الّتى تعطى الدّليل تلو الدّليل على كلّ ذلك، موقنة بمثل قوله عزّ من قائل[4] : « ما عندكم ينفد وما عند الله باق » وها هي ذى تترجم الإيمان واليقين إلى سلوك وعمل .

---

(١) تفسير القرطبيّ ١١٢٥ .
(٢) تفسير القرطبيّ ١١٢٥ .
(٣) تفسير القرطبيّ ١١٢٥ .
(٤) سورة النحل ٩٦ .

إنّ مثل نفقات هؤلاء الكبيرة والصّغيرة ، الجليلة والحقيرة ، كمثل حديقةٍ غنّاء ، بربوة تحقّق لها كلّ ما يحتاج إليه النّبات كي ينمو ويزكو . فثمّة التّربة الجيّدة ، وارتفاع المكان واستواؤه وحصوله على كلّ ما يحتاج إليه من شمس وهواء . وقد تُوّج كلّ ذلك بالغيث المنهمر والمطر الصّيّب الّذى يصيبها . وإن لم يصبها شديد المطر أصابها ضعيف المطر وطلّه . وما دامت هذه الرّبوة قد تحقّق لنبتها وراء كلّ ذلك جودة البذور والعناية الكاملة من صاحبها ، فالمنتظر أن تؤتي أكلها مثلي أكل غيرها من الجنان ، ومثلي ثمر غيرها من البساتين .

إنّ الوابل والطّلّ مثلان على كثرة الإنفاق وقلّته . وما دامت الأسباب الّتى تدعو إلى نماء ثواب الصّدقة موجودة ، ومنها كون المال المنفق حلالاً ، وأنفق فى موضعه ، وجادت به نفس صاحبه ، وأراد به صاحبه وجه ربّه الأعلى ، فإنّ كلّ هذه الأسباب مظنّة أن ينمو ثواب الصّداقة إلى سبعمائة ضعفٍ فأكثر بإذن الله تعالى . وإنّ مثل هذا النّوع من الإنفاق مثل الجنّة الّتى تحقّقت لها كلّ الأسباب الّتى تجعل نباتها ناميًا زاكيًا ، بما فى ذلك الماء الّذى تحتاج إليه ويكفيها ، قلّ أو كثر .

وتختم الآية الكريمة بتقرير الحقيقة القائمة من كونه جلّ وعلا بصيراً بعباده فيجازيهم على نواياهم وأعمالهم : « والله بما تعملون بصير » .

خرّج مسلم وغيره عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النّبيّ ﷺ : لايتصدّق أحدٌ بتمرة من كسبٍ طيّب إلاّ أخذها الله بيمينه فيربّيها كما يربّى أحدكم فِلْوه[1] أو فصيله حتّى تكون مثل الجبل أو أعظم . خرّجه الموطّأ أيضاً[2] .

---

(١) الفِلو بالكسر وكعَدُوّ وسُمُوّ : الجحش والمُهْر فُطِما أو بلغا السّنة . قاموس .

(٢) تفسير القرطبـي ١١٢٥ .

﴿٢٦٦﴾ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ
تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ
وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ
فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ

فأصابها إعصار : الزّجّاج ، الإعصار فى اللّغة الرّيح الشّديدة الّتى تهبّ من الأرض إلى السّماء كالعمود ، وهي الّتى يقال لها الزّوبعة [١] المهدويّ : قيل لها إعصار لأنّها تلتفّ كالثّوب إذا عُصِر [٢] ابن زيد : الإعصار ريح عاصف وسموم شديدة ، وكذلك قال السّدّي : الإعصار الرّيح والنّار السموم . ابن عبّاس : ريح فيها سموم شديدة . قال ابن عطيّة : ويكون ذلك فى شدّة الحرّ ويكون فى شدّة البرد [٣] وقيل : إنّما قيل للرّيح إعصار لأنّه يعصر السّحاب [٤] والجمع أعاصير [٥] .

قال البخاريّ عند تفسير هذه الآية ... قال عمر بن الخطّاب يوماً لأصحاب النّبيّ ﷺ : فيمن ترون هذه الآية نزلت ؟ أيودّ أحدكم أن تكون له جنّة من نخيل وأعناب. قالوا : الله أعلم . فغضب عمر فقال : قولوا نعلم أو لا نعلم . فقال ابن عبّاس : فى نفسى منها شيءٌ يا أمير المؤمنين فقال عمر : يا ابن أخى قل ولا تحقر نفسك .فقال ابن عبّاس رضي الله عنهما ضربت مثلاً بعمل . قال عمر : أيّ عمل ؟ قال ابن عبّاس : لرجل غنيّ يعمل بطاعة الله ثمّ بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصى حتّى أغرق أعماله .... وهو مِنْ أفراد البخاريّ رحمه الله . وفى هذا الحديث كفاية فى تفسير هذه الآية وتبيين ما فيها من المثل بعمل من أحسن أوّلاً ثمّ بعد ذلك انعكس سيره فبدّل الحسنات بالسّيّئات عياذاً بالله من ذلك ، فأبطل بعمله الثّانى ما أسلفه فيما تقدّم من الصّالح واحتاج إلى شيء من الأوّل فى أضيق الأحوال فلم يحصل منه شيء وخانه أحوج ما كان إليه » [٦] .

---

(١) تفسير القرطبي ١١٢٧ والبحر المحيط ٢ / ٣٠٣ .
(٢) تفسير القرطبي ١١٢٧ .
(٣) تفسير القرطبيّ ١١٢٧ .
(٤) تفسير القرطبي ١١٢٧ .
(٥) البحر المحيط ٢ / ٣٠٣ .
(٦) تفسير ابن كثير ١ / ٣١٩ والمعروف أنّ الباء تدخل على المبدل منه : فبدّل السّيّئات بالحسنات .

والملاحظ بشأن الآية أنّها تتكوّن من صُلْب وعجز ، متن وتذييل . وهذا هو العجز أو التّذييل : « كذلك يبيّن الله لكم الآيات لعلّكم تتفكّرون » أمّا الصُّلب أو المتن فإنّه يتكوّن من ستّة أجزاء نودّ أن نقف عند نظمها المعجز ابتداءً .

إنّ الجزء الأوّل يتحدّث عن عماد هذه الجنّة وهي النّخيل والأعناب ، لأنّ الملاحظ بشأن الجنّات فى بلاد العرب الّذين نزل القرآن الكريم بلسانهم أنّ النّخيل والأعناب عماد الجّنات ، خاصّة وقد تبيّنّا أنّ لفظ الجنّة ذو علاقة بالسّتر والإخفاء ، فالجنّة تغطّى الأرض وتخفيها عن الأنظار بخضرتها الّتي نعتقد أنّ للأعناب دوراً كبيراً فيها ، كما نعتقد أنّ النّخيل الّذى يعتبر ثمره عماد حياة جزء كبيرٍ من العرب غذائياً ، من أهمّ معالم الجنّات البارزة الّتى تجذب الأنظار وتستحوذ على الأبصار والّتى لها دورها الواضح بشأن الجنّة حيث إنّها قد اختفت أرضها عن الأنظار والأبصار بسبب الخضرة الكثيفة . وقد بيّنت هذه الآيات الكريمات من سورة الكهف دور الأعناب بخاصّة فى تغطية الأرض . ودور النّخل فى تبيين معالم الجنّتين ، إضافة إلى النّهر المتدفّق ، وحصيلة الجنّتين من الثّمر قال تعالى[1] : « واضرب لهم مثلاً رجلين جعلنا لأحدهما جنّتين مِنْ أعنابٍ وحففناهما بنخلٍ وجعلنا بينهما زرعاً . كلتا الجنّتين آتت أُكُلَها ولم تظلم منه شيئاً ، وفجّرنا خلالهما نَهَراً . وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالاً وأعزُّ نفرا » . وهذا هو الجزء الأوّل فى الآية الكريمة : « أيودّ أحدكم أن تكون له جنّة من نخيلٍ وأعناب » .

فإذا تحوّلنا إلى الجزء الثّانى : « تجرى من تحتها الأنهار » تبيّنّا أنّه يشير إلى عماد حياة الجنّة ، الّتى يعتبر النّخيل والأعناب عمادها هي بدورها .

وبعد التّحدث عن عماد الجنّة من النّبات ، وعماد الجنّة من الماء ، تمّ التّحوّل فى الجزء الثّالث إلى عماد الجنّة من النّفع ، أعنى الثّمرات الّتى اشتملت الجنّة عليها كلّها : « له فيها من كلّ الثمرات » .

حتّى إذا تمّت جميع ملامح الجنّة وكملت أبعادها وظهرت الأسباب الذّاتيّة للجنّة

---

(١) سورة الكهف ٣٢ – ٣٤ .

الّتي تحمل صاحبها على التّشبّث بها ، تمّ التّحوّل إلى نوع آخر من الأسباب الّتى تدعو إلى التّشبّث بالجنّة بدرجة أكبر وصورة آكد . وقد تمّ النّصّ على سببين ، كان الابتداء بأهمّهما وأكبرهما .

أمّا أهمّ السّببين وأكبرهما فهو الّذى نصّ عليه الجزء الرّابع : «وأصابه الكبر»، فالمعروف أنّ الآباء هم عماد الكسب إلى أن يكبر بنوهم كي يعينوهم. ولذا كان الحديث عن آخر السّببين فى الجزء الخامس « وله ذرّيّة ضعفاء » وهذان السّببان يعنيان أنّ الجنّة هي الأمل الرّابح الأخير لهذا الشّيخ الكبير الفانى ولذرّيّته الضعفاء . إنّها لو ذهبت لسبب من الأسباب فإنّه شخصيّاً أعجز من إعادة العمل فيها وهو الّذى ذهبت قواه إلى غير رجعة . وإنّ ذرّيّته الضّعفاء أعجز منه بطبيعة الحال .

وتشاء إرادة الله تعالى أن يصيب هذه الجنّة إعصار فيه نار فتحترق . وقد نصّ على هذه الخاتمة الجزء السادس : « فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت » .

وعلى غرار التّجانس بين الجزء الأوّل والثّالث فى الحديث عن مقوّمات الجنّتين « أيودّ أحدكم أن تكون له جنّة من نخيل وأعناب » « له فيها من كلّ الثّمرات » يكون التّجانس بين الثّانى والرّابع فى الحديث عن عماد حياة الجنّة أعنى الماء ، وعن عماد الأسرة صاحب الجنّة « تجرى من تحتها الأنهار » « وأصابه الكبر » كما يكون التّجانس بين الرّابع والسّادس فى ابتداء كلّ منهما بجملة أصاب « وأصابه الكبر » « فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت » .

ورغم ارتباط هذا المثل أساساً بمن يعمل بطاعة الله تعالى ابتداءً ثمّ يغرق أعماله بالمعاصى الّتى يأمره بها الشّيطان الرّجيم ونفسه الأمّارة بالسّوء ، فإنه يصحّ فى حقّ كلّ من أفسد عملاً صالحاً بما فى ذلك الإنفاق فى سبيل الله تعالى والصّدقات . إنّ المنّ والأذى والرّياء والنّفاق والكفر ، كلّ ذلك محبط للأعمال الصّالحة وبمثابة الإعصار الّذى فيه نار فأحرقت الجنّة الغنّاء .

وتختم الآية الكريمة بالتّعقيب الّذى يفهم معه أنّ الله سبحانه وتعالى فى مثل هذه الطّريقة يبيّن لنا الآيات لعّلنا نتفكر . وقد قال تعالى[1] : « وتلك الأمثال نضربها للنّاس وما يعقلها إلاّ العالِمون » . ومن البيّن أنَّ صفة التفكّر هي الّتى تنصّ عليها الآية الكريمة ، وإنّ هذا المثل المعجز التركيب الباهر البناء البعيد المرمى العميق المغزى خليق بكلّ تفكّر وتدبّر .

(١) سورة العنكبوت ٤٣ .

﴿٢٦٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ

سبب النّزول .

خرّج التّرمذيّ عن البراء بن عازب : ولا تيمّموا الخبيث منه تنفقون . قال : نزلت فينا معشر الأنصار . كنّا أصحاب نخل قال : فكان الرّجل يأتى من نخله على قدر كثرته وقلّته ، وكان الرّجل يأتى بالقِنو والقنوين فيعلّقه فى المسجد . وكان أهل الصّفّة ليس لهم طعام ، فكان أحدهم إذا جاع أتى القنو فيضربه بعصاه فيسقط من البُسْر والتّمر فيأكل . وكان ناس ممّن لايرغب في الخير يأتى بالقنو فيه الشّيص[1] والحشف[2] ، وبالقِنْو قد انكسر فيعلّقه فى المسجد فأنزل الله تعالى : يا أيّها الّذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم وممّا أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمّموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلاّ أن تغمضوا فيه . قال : ولو أنّ أحدكم أُهْدي إليه مثل ما أعطاه لم يأخذه إلاّ على إغماض وحياء . قال : فكنّا بعد ذلك يأتى الرّجل بصالح ما عنده . قال : هذا حديث حسن غريب صحيح[3] .

واختلف العلماء فى المعنى المراد بالإنفاق هنا . فقال عليّ بن أبى طالب وعبيدة السّلمانىّ وابن سيرين : هي الزّكاة المفروضة . نُهِي النّاس عن إنفاق الرّدىء فيها بدل الجيّد . قال ابن عطيّة : والظّاهر من قول البراء بن عازب والحسن وقتادة أنّ الآية فى التّطوّع ، ندبوا إلى ألاّ يتطوّعوا إلاّ بمختارٍ جيّد . والآية تعمّ الوجهين[4] .

---

(١) الشّيص بالكسر أردأ التّمر الواحدة بهاء . قاموس .

(٢) الحشف بفتح الحاء والشّين اليابس الفاسد من التّمر . قاموس .

(٣) تفسير القرطبيّ ١٢٤٨ والبحر المحيط ٣١٦/٢ وتفسير ابن كثير ٣٢٠/١ .

(٤) تفسير القرطبيّ ١١٢٨ .

من طيبات ما كسبتم : جمهور المتأوّلين قالوا : معنى من طيّبات من جيد ومختار ما كسبتم . وقال ابن زيد : من حلال ما كسبتم[1] .

وممّا أخرجنا لكم من الأرض : يعنى النّبات والمعادن والرّكاز . وهذه أبواب ثلاثة تضمّنتها هذه الآية[2] والرّكاز ، بكسر الرّاء ، أصله فى اللّغة ما ارتكز بالأرض من الذّهب والفضّة والجواهر . وهو عند سائر الفقهاء كذلك لأنّهم يقولون فى النّدْرة[3] الّتى توجد فى المعدن مرتكزة بالأرض لاتُنال بعملٍ ولا بسعي ولا نصب فيها الخُمس لأنّها ركاز[4] .

ولا تيمّموا : ولا تقصدوا[5] .

الخبيث : هو الدّون والرّدىء[6] وهو ضدّ الطّيّب ، اسم فاعل من خبث[7] منه تنفقون ، الضمير فى منه عائد على الخبيث[8] قال الجرجانيّ فى كتاب نظم القرآن : قال فريق من النّاس : إنّ الكلام تمّ فى قوله تعالى : الخبيث ثمّ ابتدأ خبراً آخر فى وصف الخبيث فقال : منه تنفقون ، وأنتم لاتأخذونه إلاّ إذا أغمضتم[9] .

إلاّ أن تُغْمِضوا فيه كذا قراءة الجمهور ، مِنْ أغمض الرّجل فى أمر كذا إذا تساهل فيه ورضي ببعض حقّه وتجاوز ..... وقد يحتمل أن يكون منتزعاً إمّا من تغميض العين ، لأنّ الّذى يريد الصّبر على مكروه يغمض عينيه ... وإمّا من قول العرب : أغمض الرّجل إذا أتى غامضاً من الأمر كما تقول : أعْمَنَ أي أتى عمان ، وأعرق أي أتى العراق ، وأنجد وأغور أي أتى نجداً والغور الّذى هو تهامة . أي فهو يطلب التّأويل على أخذه[10] وجاء فى الجلالين : « إلاّ أن تغمضوا فيه بالتّساهل وغضّ البصر » . « من قولك : أغمض

---

(١) تفسير القرطبي ١١٢٩ .
(٢) تفسير القرطبي ١١٢٩ .
(٣) النّدْرة بفتح فسكون : القطعة من الذّهب والفضّة توجد فى المعدن .
(٤) تفسير القرطبيّ ١١٣٠ .
(٥) تفسير القرطبيّ ١١٣٣ والجلالين والكشّاف ٢٩٩/١ والبحر المحيط ٣١٥/٢ .
(٦) تفسير القرطبيّ ١١٣٤ والجلالين .
(٧) البحر المحيط ٢ / ٣١٥ .
(٨) تفسير القرطبيّ ١١٣٤ .
(٩) تفسير القرطبيّ ١١٣٤ .
(١٠) تفسير القرطبي ١١٣٥ وانظر البحر المحيط ٣١٥/٢ .

فلان عن بعض حقّه إذا غضّ بصره . ويقال للبائع : أغمض أي لاتستقص كأنّك لاتبصر . وقال الطّرمّاح :

لم يفتنا بالوتر قوم وللضّيـ ـم رجالٌ يرضون بالإغماض[1] .

فى هذه الآية الكريمة يأمر ربّ العزّة عباده المؤمنين بأن ينفقوا من طيّبات ما كسبوا وممّا أخرج الله سبحانه وتعالى لهم من الأرض من الحبّ والثّمر والمعادن . وحينما يؤمر المؤمن أن ينفق ممّا كسبت يداه من حلالٍ طيّب ، وكسب اليد أعزّ مملوك بسبب الحصول عليه بعد تعبٍ وكدح ، فذلك معناه أن يشمل الأمر سوى المكتسب كالموروث مثلاً من باب الأَوْلى والأحرى . وقد نهى الله تعالى المؤمنين أن يقصدوا إلى خبيث ما لهم ورديئه وساقطه كي يتصدّقوا به ، وهم الّذين لايأخذونه اختياراً مطلقاً ، إنّما يأخذونه اضطراراً أو متساهلين فيه ومتسامحين ، مغمضين أعينهم عن عيوبه غير مستقصين لها . وهذا المعنى نفسه نبّهت عليه الآية الكريمة من سورة آل عمران[2] قال تعالى : « لن تنالوا البرّ حتّى تنفقوا ممّا تحبّون . وما تنفقوا من شيءٍ فإنّ الله به عليم » .

إنّ على العباد أن يعلموا أنّ الله سبحانه وتعالى حينما يأمرهم بأن ينفقوا ممّا يحبّون إنّما يريد لهم الأجر العظيم والثّواب العميم ، وإلاّ فإنّ الله سبحانه وتعالى هو الغنيّ عنهم . أو ليس كلُّ ما فى أيدى النّاس ممّا يملكون إنّما هو ما استخلفهم الله تعالى فيه ؟ بلى . إذن على العباد أن يشكروا الله تعالى دائماً وأبداً على نعمه جلّ وعلا وآلائه . إنّه جلّ وعلا الغنيّ عن الخلق وهو جلّ وعلا الحميد « أي المحمود فى جميع أفعاله وأقواله وشرعه وقدره لا إله إلاّ هو ولا ربّ سواه »[3] .

---

(١) الكشّاف ١ / ٢٩٩ .

(٢) الآية ٩٢ .

(٣) تفسير ابن كثير ١ / ٣٢١ .

﴿٢٦٨﴾ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ

الوعد فى كلام العرب إذا أطلق فهو فى الخير، وإذا قيّد بالموعود ما هو فقد يقدّر بالخير وبالشّرّ كالبشارة . فهذه الآية ممّا يقيّد فيها الوعد بالمعنيين جميعاً . قال ابن عباس : فى هذه الآية اثنتان من الله تعالى واثنتان من الشّيطان (١) قال تعالى (٢) : « النّار وعدها الله الّذين كفروا وبئس المصير » .

يعدكم الفقر : يخوّفكم بالفقر (٣) .

بالفحشاء : بالمعاصى والإنفاق فيها (٤) وبالبخل ومنع الزّكاة (٥) أي مع نهيه إيّاكم عن الإنفاق خشية الإملاق، يأمركم بالمعاصى والمآثم والمحارم ومخالفة الخلاّق (٦) .

الآية الكريمة ذات علاقة وثيقة بسابقتها . فبعد أن أمرت الآية الكريمة السّابقة الّذين آمنوا بأن ينفقوا من طيّبات ما كسبوا ومن طيّبات ما أخرج الله تعالى لهم من الأرض ومن جيّد كلّ ذلك ، حذرتهم من الشّيطان الرّجيم الّذى يخوّف المؤمنين بالفقر إذا ما أنفقوا فى سبيل الله تعالى وتصدّقوا وأخرجوا زكوات أموالهم ، يحدث ذلك فى ذات الوقت الّذى يأمرهم بإنفاق أموالهم فى المعاصى وارتكاب الفواحش ما ظهر منها وما بطن . إنّه ينهى عن الخير كلّ الخير ويأمر بالشّرّ كلّ الشّرّ ، لأنّه لايريد بالإنسان إلاّ كلّ الشّرّ . والله سبحانه وتعالى فى المقابل يعد المؤمنين المنفقين فى سبيل الله تعالى مغفرةً منه لذنوبهم ، وستراً لعيوبهم . كما يعدهم جلّ وعلا فضلاً عميماً منه ، يتمثّل فى الرّزق الواسع ، وفى الثّواب الجزيل . إنّ التّخويف بالفقر من الشّيطان الرّجيم ، ويقابله التّبشير

---

(١) تفسير القرطبىّ ١١٣٦ .
(٢) سورة الحج ٧٢ .
(٣) تفسير القرطبىّ ١١٣٦ والجلالين والبحر المحيط ٢ / ٣١٩ وتفسير ابن كثير ١ / ٣٢١ .
(٤) تفسير القرطبي ١١٣٦ .
(٥) الجلالين .
(٦) تفسير ابن كثير ١ / ٣٢١ .

بالفضل من الله تعالى . وإنّ الأمر بالفحشاء وبارتكاب الذّنوب والمعاصى ومنع حقّ الله تعالى من الشّيطان الرّجيم ، ويقابله المغفرة من الله تعالى .

روى التّرمذي والنّسائيّ فى كتابي التّفسير من سننهما وأخرج ابن حبّان فى صحيحه « عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : إنّ للشّيطان لَمَّةً[1] بابن آدم وللملك لمّة . فأمّا لمّة الشّيطان فإيعاد بالشّرّ وتكذيب بالحق . وأمّا لمّة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحقّ . فمن وجد ذلك فليعلم أنّه من الله فليحمد الله . ومن وجد الأخرى فليتعوّذ من الشّيطان . ثمّ قرأ : الشّيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرةً منه وفضلاً الآية[2] قال التّرمذيّ : هذا حديث حسن صحيح[3] .

---

(١) اللّمّة بفتح اللاّم : الهمّة والخطرة تقع فى القلب .

(٢) تفسير ابن كثير ١ / ٣٢١ وتفسير القرطبي ١١٣٧ .

(٣) تفسير القرطبيّ ١١٣٧

﴿٢٦٩﴾ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ

يؤتى الحكمة من يشاء : أي يعطيها لمن يشاء من عباده (١) .

الحكمة : عن ابن عبّاس يعنى المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه ومتشابهه ومقدّمه ومؤخّره وحلاله وحرامه وأمثاله (٢) ومحكمه وغريبه (٣) وقال قتادة ومجاهد : الحكمة هي الفقه فى القرآن . وقال مجاهد : الإصابة فى القول والعمل . وقال ابن زيد : الحكمة العقل فى الدّين . وقال مالك بن أنس : الحكمة المعرفة بدين الله والفقه فيه والاتّباع له (٤) والحكمة مصدر من الإحكام وهو الإتقان في قولٍ أو فعل (٥) وأصل الحكمة ما يمتنع به من السّفه . فقيل للعلم حكمة لأنّه يُمْتَنَعُ به ، وبه يعلم الامتناع من السّفه ، وهو كلّ فعلٍ قبيح ، وكذا القرآن والعقل والفهم . وفى البخاريّ : من يُرِدِ الله به خيراً يفقهه فى الدّين . وقال هنا : ومَنْ يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً (٦) .

تبيّن الآية الكريمة أنّ ربّ العزّة يهب من يشاء من عباده مَناً منه جلّ وعلا وفضلاً الحكمة ، بمعنى الفقه فى كتاب الله تعالى العزيز والعمل بكل علمٍ نافع . وهذا النّوع من العلم هو العلم اللّدنّي الّذى يصطفى الله تعالى به من يشاء من عباده ويخصّه به ، ولا رادّ لفضله جلّ وعلا . ويتكرّر فى الآية الكريمة ذكر الحكمة ولا يُكْتفى بضميرها : « اعتناءً بها وتنبيهاً على شرفها وفضلها » (٧) وذلك فى معرض التّنبيه إلى أنّ من أوتي الحكمة فقد أعطاه الله تعالى خيراً كثيراً . هكذا جاء التّعبير فى صيغة تنكير التّعظيم كأنّه قال : فقد أوتي أيّ خيرٍ كثير (٨) وتقرّر الآية الكريمة فى تذييلها أنّ الّذين يتذكّرون هم فقط أولو العقول . وأصل يذّكّر يتذكر وقد أدغمت التّاء فى الأصل فى الذّال (٩) .

---

(١) تفسير القرطبيّ ١١٣٨ .
(٢) تفسير ابن كثير ١ / ٣٢٢ وانظر تفسير القرطبيّ ١١٣٨ والبحر المحيط ٢ / ٣٢٠ .
(٣) زيادة من تفسير القرطبيّ ١١٣٨ .
(٤) تفسير القرطبيّ ١١٣٨ .
(٥) تفسير القرطبيّ ١١٣٨ .
(٦) تفسير القرطبيّ ١١٣٨ .
(٧) تفسير القرطبي ١١٣٨ .
(٨) الكشّاف ١ / ٣٠٠ .
(٩) الجلالين والبحر المحيط ٢ / ٣٢١ .

قال بعض الحكماء : مَنْ أُعْطِيَ العلم والقرآن ينبغي أن يعرف نفسه ، ولا يتواضع لأهل الدّنيا لأجل دنياهم ، فإنّما أُعْطِي أفضل ما أُعْطِي أصحاب الدّنيا ، لأنّ الله تعالى سمّى الدّنيا متاعاً قليلاً فقال : قل متاع الدّنيا قليل . وسمّى العلم والقرآن خيراً كثيراً [1] .

عن ابن مسعود مرفوعاً : رأس الحكمة مخافة الله [2] وقال الإمام أحمد ..... عن ابن مسعود قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : لاحسد إلاّ فى اثنتين . رجلٌ آتاه الله مالاً فسلّطه على هلكته فى الحقّ . ورجل آتاه الله حكمةً فهو يقضى بها ويعلّمها . وهكذا رواه البخاريّ ومسلم والنّسائيّ وابن ماجة [3] .

---

(١) تفسير القرطبي ١١٣٩ .

(٢) تفسير ابن كثير ١ / ٣٢٢ .

(٣) تفسير ابن كثير ١ / ٣٢٢ .

﴿٢٧٠﴾ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ

النّذر : هو ما أوجبه المكلّف على نفسه من العبادات ممّا لو لم يوجبه لم يلزمه . تقول : نذر الرّجل كذا إذا التزم فعله ينذر بضمّ الذّال وينذر بكسرها[1] .

أمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين أن ينفقوا من الحلال الطيّب الجيّد ووعدهم على هذا النّوع من الإنفاق مغفرةً لذنوبهم وفضلاً واسعاً وحذّرهم من الشّيطان الرّجيم الّذى ينهاهم عن الإنفاق فى أوجه البّر ويأمرهم بالإنفاق في سبيل اكتساب الآثام . وهذه الآية الكريمة يبيّن فيها ربّ العزّة لعباده أنّه لايخفى عليه شيء ممّا يبعثهم على الإنفاق والنّذر . هل الإنفاق فى سبيل الله تعالى أم فى سبيل الشّيطان الرّجيم والنّفس الأمّارة بالسّوء ؟ هل النّذر فى طاعةٍ أم فى معصية ؟ إنّ الثّواب الجزيل والفضل العميم إنمّا هما كفاء النّفقة الّتى يراد بها وجه الله تعالى من زكاةٍ وصدقة وإنفاقٍ فى كلّ أوجه البر ، والنّذر فى سبيل الله تعالى الّذى يوفى به صاحبه ، وقد أثنى الله تعالى على هؤلاء فى قوله عزّ من قائل[2] : « يوفون بالنّذر ويخافون يوماً كان شرُّه مستطيراً » ومن سمات المتّقين الإنفاق فى السّرّاء والضّرّاء دون إسراف أو تقتير . قال تعالى[3] : «وسارعوا إلى مغفرةٍ من ربّكم وجنّةٍ عرضُها السّماوات والأرض أعدّت للمتّقين . الّذين ينفقون فى السّرّاء والضّرّاء والكاظمين الغيظَ والعافين عن النّاس والله يحبّ المحسنين » وقال تعالى[4] : « والّذين إذا انفقوا لم يُسْرِفوا ولم يَقْتُروا وكان بين ذلك قواماً » .

وإذا كان المؤمنون المتّقون مثابين فإنّ الظّالمين الّذين يضعون الأمور فى غير مواضعها معذبون وليس لهم من دون الله تعالى من أنصار ينصرونهم أو يذودون عنهم فى الدّنيا الآخرة .

---

(١) تفسير القرطبيّ ١١٤٠ وانظر البحر المحيط ٢ / ٣١٥ .

(٢) سورة الإنسان ٧ .

(٣) سورة آل عمران ١٣٣ ، ١٣٤ .

(٤) سورة الفرقان ٦٧ .

﴿٢٧١﴾ إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ

ذهب جمهور المفسّرين إلى أنّ هذه الآية فى صدقة التّطوّع ، لأنّ الإخفاء فيها أفضل من الإظهار ، وكذلك سائر العبادات الإخفاء أفضل فى تطوّعها لانتفاء الرّياء عنها ، وليس كذلك الواجبات . قال الحسن : إظهار الزّكاة أحسن ، وإخفاء التّطوّع أفضل ، لأنّه أدلّ على أنّه يراد الله عزّ وجلّ به وحده[1] وفى صحيح مسلم عن النّبيّ ﷺ أنّه قال : أفضل صلاة المرء فى بيته إلاّ المكتوبة وذلك أنّ الفرائض لايدخلها رياء والنّوافل عُرْضة لذلك . وروى النّسائيّ عن عقبة بن عامر أنّ رسول الله ﷺ قال : الّذى يجهر بالقرآن كالّذى يجهر بالصّدقة ، والّذى يُسِرّ بالقرآن كالّذى يُسِرّ بالصّدقة . وفى الحديث : صدقة السّرّ تطفىء غضب الرّبّ[2] وثبت فى الصّحيحين عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : سبعة يظلهم الله فى ظلّه يوم لاظلّ إلاّ ظلّه : إمام عادل ، وشابٌّ نشأ فى عبادة الله ، ورجلان تحابّا فى الله اجتمعا عليه وتفرّقا عليه ، ورجل قلبه معلّقٌ بالمسجد إذا خرج منه حتّى يرجع إليه ، ورجلٌ ذكر الله خالياً ففاضت عيناه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال : إنّى أخاف الله ربّ العالمين ، ورجلٌ تصدّق بصدقةٍ فأخفاها حتّى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه[3] .

فنِعِمّا هى : اختلف القرّاء فى قوله : فَنِعِمّا هي . فقرأ أبو عمرو ونافع فى رواية ورش ، وعاصم فى رواية حفص ، وابن كثير : فَنِعِمَّا هي بكسر النّون والعين . وقرأ أبو عمرو أيضاً ونافع فى غير رواية ورش وعاصم فى رواية أبى بكر والمفضّل : فنِعْما بكسر النّون وسكون العين . وقرأ الأعمش وابن عامر وحمزة والكِسائي فنَعِمّا بفتح النّون وكسر العين وكلّهم سكن الميم[4] ..

---

(١) تفسير القرطبي ١١٤٠ .
(٢) تفسير القرطبي ١١٤٠ .
(٣) تفسير ابن كثير ١ / ٣٢٢ .
(٤) تفسير القرطبي ١١٤٢ .

وحكى النّحويّون فى نِعْم أربع لغات : نَعِمَ الرّجل زيد . هذا الأصل. ونِعِمَ الرّجل، بكسر النّون لكسر العين. ونَعْم الرّجل، بفتح النّون وسكون العين، والأصل : نَعِمَ حُذفت الكسرة لأنها ثقيلة. ونِعْم الرّجل ، وهذا أفصح اللّغات. والأصل فيها نَعِم . وهي تقع فى كلّ مدح. فخفّفت وقُلِبَتْ كسرة العين على النّون وأسكنت العين. فمن قرأ : فنِعِمّا هي فله تقديران أحدهما أن يكون جاء به على لغة من يقول نِعِم . والتقدير الآخر أن يكون على اللّغة الجيّدة فيكون الأصل نِعْم ، ثمّ كسرت العين لالتقاء السّاكنين [1] .

وقد أعربوا ما هنا تمييزاً [2] قال أبو عليّ : وما من قوله : نِعِمّا فى موضع نصب. وقوله هي تفسير للفاعل المضمر قبل الذّكر. والتّقدير : نِعْم شيئاً إبداؤها ، والإبداء هو المخصوص بالمدح إلاّ أنّ المضاف حُذِف وأقيم المضاف إليه مقامه . ويدلّك على هذا قوله : فهو خير لكم، أي الإخفاء خير [3] .

ويكفّر : الّذى روي عن عاصم ويكفّرُ بالياء والرّفع ومعناه ويكفّر الله . هذا قول أبى عبيد . وقال أبو حاتم : معناه يكفّر الإعطاء [4] قال سيبويه : والرّفع هاهنا الوجه وهو الجيّد، لأنّ الكلام الّذى بعد الفاء يجرى مجراه فى غير الجزاء . وأجاز الجزم بحمله على المعنى، لأنّ المعنى : وإنّ تخفوها وتؤتوها الفقراء يكن خيراً لكم ونكفّر عنكم [5] وبالجملة فما كان منْ هذه القراءات بالنّون فهي نون العظمة ، وما كان منها بالتّاء فهي الصّدقة فاعلمه (أي وتكفّر الصّدقات) إلاّ ماروي عن عكرمة من فتح الفاء فإنّ التّاء فى تلك القراءة إنّما هي للسّيّئات ، وما كان منها بالياء فالله تعالى هو المكفّر [6] .

وأمّا رفع الرّاء فهو على وجهين : أحدهما أن يكون الفعل خبر ابتداء تقديره ونحن

---

(١) تفسير القرطبي ١١٤٢ .
(٢) البحر المحيط ٢ / ٣٢٤ .
(٣) تفسير القرطبي ١١٤٣ .
(٤) تفسير القرطبي ١٠٤٤ .
(٥) تفسير القرطبي ١١٤٤ .
(٦) تفسير القرطبي ١١٤٤ .

نكفّر أو وهي تكفّر ، أعنى الصّدقة ، أو والله يكفّر . والثّانى القطع والاستئناف لاتكون الواو العاطفة للاشتراك لكن تعطف جملة كلام على جملة[1] .

بعد أن تَبَيَّنَ رأيُ جمهور المفسّرين بأنّ الآية الكريمة فى الصّدقات تُبَيّن الآية الكريمة أنّه لاضير من إبداء صدقة التّطوّع وإعلانها ، بل إنّ هذا الإبداء نعم شيئاً هو ، ما دام المرء إنمّا يريد بالإنفاق وجه ربّه الأعلى وليس الرّياء ولا السّمعة ، وفى الوقت ذاته تقرّر الآية الكريمة أنّ إخفاء صدقة التّطوّع من ناحية ووضعها فى موضعها بإعطائها أصحابها الفقراء وهم الأصناف الثّمانية الّذين نصّت عليهم سورة التّوبة[2] تُقَرِرّ أنّ ذلك خير عند الله تعالى للمتصّدق لانتفاء احتمال الرّياء بالكلّيّة وانتفاء إيذاء المتصّدق عليه كذلك تماماً . وقد تبيّنّا توجيهات المصطفى ﷺ إلى صدقة السّرّ بحيث إنّ من بين السّبعة الّذين يظلّهم الله تعالى فى ظلّه يوم لا ظلّ إلاّ ظلّه رجلاً تصّدق بصدقةٍ فأخفاها بحيث لاتعلم شماله ما تنفق يمينه . ويشمل الخير فى التصّدق سرّاً ، إضافةً إلى الثّواب الجزيل كفاء الصّدقة وإيتائها الفقراء سراً ، يشمل التّكفير من السّيّئات وما أكثر ذنوبنا نحن البشر وما أشدّ عيوبنا وما أحوجنا إلى تكفير شيء من سيّئاتنا . وإنّ صدقة التّطوّع وإعطاءها أصحابها سرّاً من أهمّ المكفّرات لذنوب المتصّدق .

وتبيّن الآية الكريمة أنّ الله تعالى خبير بما يعمل العباد . إنّه لا يخفى عليه جلّ وعلا شيء فى الأرض ولا فى السّماء ومن ذلك حقيقة نوايا المتصّدق كي يجازيه وفق نيّته وعمله .

---

(١) تفسير القرطبي ١١٤٤ .

(٢) الآيـة ٦٠ .

﴿٢٧٢﴾ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ

هذا الكلام متّصل بذكر الصّدقات ، فكأنّه بيّن فيه جواز الصّدقة على المشركين [١] وقيل : ليس متّصلاً بما قبل ، بل يحتمل أن يكون معناه ابتداء كلام [٢] قال علماؤنا هذه الصّدقة الّتى أبيحت لهم .... هي صدقة التّطوّع وأمّا المفروضة فلا يجزىء دفعها لكافر لقوله عليه السّلام : أُمِرْت أن آخذ الصّدقة من أغنيائكم وأردّها فى فقرائكم . قال ابن المنذر : أجمع كلٌّ من أحفظ عنه من أهل العلم أنّ الذّمّيّ لايُعْطى من زكاة الأموال شيئاً . ثمّ ذكر جماعةً ممّنْ نصّ على ذلك ولم يذكر خلافاً ... وقال أبو حنيفة : تُصْرَف إليهم زكاة الفطر ... قلت : وفى التّنزيل : ويطعمون الطّعام على حبّه مسكيناً ويتيماً وأسيراً . والأسير فى دار الإسلام لايكون إلاّ مشركاً . وقال تعالى : لاينهاكم الله عن الّذين لم يقاتلوكم فى الدّين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرّوهم وتقسطوا إليهم . فظواهر هذه الآيات تقتضى جواز صرف الصّدقات إليهم جملة . إلاّ أنّ النّبيّ ﷺ خصّ منها الزّكاة المفروضة لقوله عليه السّلام لمعاذ : خذ الصّدقة من أغنيائهم وردّها على فقرائهم . واتّفق العلماء على ذلك على ما تقدّم ، فيدفع إليهم من صدقة التّطوّع إذا احتاجوا . والله أعلم [٣] .

عن سعيد بن جبير عن ابن عبّاس عن النّبيّ ﷺ أنّه كان يأمر بأن لايتصدّق إلاّ على أهل الإسلام حتّى نزلت هذه الآية : ليس عليك هداهم إلى آخرها . فأمر بالصّدقة بعدها على كلّ من سألك من كلّ دين [٤] .

---

(١) تفسير القرطبيّ ١١٤٥ .
(٢) تفسير القرطبيّ ١١٤٥ .
(٣) تفسير القرطبيّ ١١٤٥ .
(٤) تفسير ابن كثير ١ / ٣٢٣ .

من خير : الخير فى هذه الآية المال ، لأنّه قد اقترن بذكر الإنفاق ، فهذه القرينة تدلّ على أنّه المال ، ومتى لم تقترن بما يدلّ على أنّه المال فلا يلزم أن يكون بمعنى المال نحو قوله تعالى خير مستقرّاً . وقوله مثقال ذرّة خيراً يره إلى غير ذلك[1] .

ابتغاء : انتصاب ابتغاء على أنّه مفعول من أجله وقيل هو مصدر فى موضع الحال تقديره مبتغين[2] .

وما تنفقون إلاّ ابتغاء وجه الله : المعنى أنّ النّفقة المعتدّ بقبولها إنمّا هي ما كان ابتغاء وجهه جلّ وعلا ، فثمّة اشتراط عليهم ، ويتناول الاشتراط غيرهم من الأمّة[3] ويقول أبو حيّان[4] : « فهذا خبر شرط فيه محذوف ، أي وما تنفقون النّفقة المعتدّة القبول فيكون هذا الخطاب للأمّة » .

وعبّر بالوجه عن الرّضا كما قال : ابتغاء مرضاة الله ، وذلك على عادة العرب . وتنزّه الله عن الوجه بمعنى الجارحة[5] .

وقيل إنّه شهادة من الله تعالى للصّحابة رضى الله عنهم أنّهم إنمّا ينفقون ابتغاء وجهه . فهذا خرج مخرج التّفضيل والثّناء عليهم[6] .

يخاطب ربُّ العزّة المصطفى ﷺ بأنّه إنمّا عليه البلاغ فحسب وعلى الله تعالى الحساب . إنّه عليه الصّلاة والسّلام لايهدى من أحبّ ولكنّ الله سبحانه وتعالى يهدى من يشاء ، فعلى المصطفى ﷺ حينما ينفق على المشركين المحتاجين للنّفقة ألاّ ينفق عليهم شريطة أن يسلموا لأنّ الهداية بيد الله تعالى عليه ، إنمّا ينفق عليهم لأنّهم محتاجون للنّفقة وللصّدقة . وإنّ أمّة المصطفى ﷺ تبع له فى ذلك .

---

(١) تفسير القرطبيّ ١١٤٧ والجلالين والكشّاف ١ / ٣٠٠ .

(٢) البحر المحيط ٢ / ٣٢٧ وانظر تفسير القرطبي ١١٤٧ .

(٣) تفسير القرطبيّ ١١٤٧ .

(٤) البحر المحيط ٢ / ٣٢٧ .

(٥) البحر المحيط ٢ / ٣٢٧ .

(٦) تفسير القرطبيّ ١١٤٧ .

وتبيّن الآية الكريمة أنّ من ينفق من مالٍ فى سبيل الله تعالى فلنفسه ، لأنّ ثواب الإنفاق عائدٌ عليه وقد أفاضت السّورة الكريمة فى ثواب المتصدّقين المنفقين أموالهم فى سبيل الله تعالى . وترشد الآية الكريمة إلى وجوب كون الإنفاق إنمّا يراد به رضا الله سبحانه وتعالى وحده لاشريك له ، كما أنّها تعمّق المعنى السّابق من كون ثواب الإنفاق عائداً على المنفق وذلك فى طريقة تحثّ على الإنفاق فى سبيل الله ، فثواب الإنفاق عائدٌ على المنفق ما له فى سبيل الله تعالى كاملاً غير منقوص : « ومن أوفى بعهده من الله »[1].

---

(1) سورة التّوبة ١١١

﴿٢٧٣﴾ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ
الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ
لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ
فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ

للفقراء : اللاّم متعلّقة بقوله : وما تنفقوا من خير (فى الآية الكريمة السّابقة) وقيل بمحذوف تقديره : الإنفاق أو الصّدقة للفقراء[1] قال السّدىّ ومجاهد وغيرهما : المراد بهؤلاء الفقراء فقراء المهاجرين من قريش وغيرهم. ثمّ تتناول الآية كلَّ من دخل تحت صفة الفقر غابر الدّهر . وإنّما خصّ فقراء المهاجرين بالذّكر لأنّه لم يكن هناك سواهم وهم أهل الصّفّة وكانوا نحواً من أربعمائة رجل ، وذلك أنّهم كانوا يقدمون[2] فقراء على رسول الله ﷺ ومالهم أهل ولا مال ، فبنيت لهم صُفّة فى مسجد رسول الله ﷺ فقيل لهم أهل الصّفّة[3] قال أبو ذرّ : كنت من أهل الصّفّة وكنّا إذا أمسينا حضرنا باب رسول الله ﷺ فيأمر كلّ رجلٍ فينصرف برجلٍ ويبقى من بقي من أهل الصّفّة عشرة أو أقلّ فيؤتى النّبيّ ﷺ بعشائه ونتعشّى معه . فإذا فرغنا قال رسول الله ﷺ : ناموا فى المسجد ... قال علماؤنا : وكانوا رضي الله عنهم فى المسجد ضرورةً ، وأكلوا من الصّدقة ضرورةً ، فلمّا فتح الله على المسلمين استغنوا عن تلك الحال وخرجوا ثمّ ملكوا وتأمّروا[4] وأهل الصّفّة كانوا يتعلّمون القرآن باللّيل ، ويرضخون النّوى بالنّهار ، وكانوا يخرجون مع كلّ سريّة بعثها رسول الله ﷺ فمن كان عنده فضل أتاهم به إذا أمسى[5] أحصروا فى سبيل الله : حُبِسوا ومُنِعوا[6] أي حبسوا أنفسهم على الجهاد[7]

---

(١) تفسير القرطبيّ ١١٤٧ وانظر الجلالين والكشّاف ١ / ٣٠٠ .

(٢) يقال : قدم (بفتح الدّال) فلان القوم يقدمهم (بضمّ الدّال) إذا سبقهم .

(٣) صفّة المسجد النّبوي الشّريف سقيفته الكشّاف ١ / ٣٠١ والموضع المظلّل من مسجده عليه الصّلاة والسّلام القاموس .

(٤) تفسير القرطبيّ ١١٤٧ .

(٥) الكشّاف ١ / ٣٠١ وانظر البحر المحيط ٢ / ٣٢٨ .

(٦) تفسير القرطبيّ ١١٤٨ .

(٧) الجلالين .

لايستطيعون ضرباً فى الأرض : لايستطيعون سفراً[1] والضّرب فى الأرض هو السّفر . قال الله تعالى : وإذا ضربتم فى الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصّلاة . وقال تعالى : علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون فى سبيل الله[2] قال قتادة وابن زيد: معنى أحصروا فى سبيل الله حبسوا أنفسهم عن التّصرّف فى معايشهم خوف العدّو ولهذا قال تعالى : لايستطيعون ضرباً فى الأرض لكون البلاد كلّها كفراً مُطْبقاً . وهذا فى صدر الإسلام . فقلّتهم تمنع من الاكتساب بالجهاد . وإنكار الكفّار عليهم إسلامهم يمنع من التّصرّف فى التجارة فبقوا فقراء[3] .

يحسبهم : يظنّهم[4] .

الجاهل : أي الجاهل بهم[5] وبحالهم[6] ويقول ابن كثير[7] : « أي الجاهل بأمرهم وحالهم يحسبهم أغنياء من تعفّفهم فى لباسهم وحالهم ومقالهم. وفى هذا المعنى الحديث المتّفق على صحّته عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : ليس المسكين بهذا الطّوّاف الّذى تردّه التّمرة والتّمرتان واللّقمة واللّقمتان والأكلة والأكلتان ولكن المسكين الّذى لايجد غنىً يغنيه ولا يُفْطَن له فيتصدّق عليه ولا يسأل النّاس شيئاً » .

والتّعفّف : تفعُّل ، وهو بناء مبالغة من عفّ عن الشّىء إذا أمسك عنه وتنزّه عن طلبه. وبهذا المعنى فسّر قتادة وغيره[8] .

ومِنْ : سببيّة أي الحامل على حسبانهم أغنياء هو تعفّفهم لأنّ عادة من كان غنيّ مال أن يتعفّف ولا يسأل[9] وفى رأي القرطبي[10] أنّ مِنْ لابتداء الغاية وقيل: لبيان الجنس .

---

(١) الجلالين .
(٢) تفسير ابن كثير ١ / ٣٢٤ .
(٣) تفسير القرطبيّ ١١٤٨ .
(٤) تفسير القرطبيّ ١١٤٩ .
(٥) تفسير القرطبيّ ١١٤٩ .
(٦) الجلالين .
(٧) تفسير ابن كثير ١ / ٣٢٤ .
(٨) تفسير القرطبيّ ١١٤٩ .
(٩) البحر المحيط ٢ / ٣٢٨ .
(١٠) تفسير القرطبيّ ١١٤٩ .